جامعة الدول العربية
معهد الدراسات العربية العالية

الصّحافة الأدبيّة

وجهة جديدة فى دراسة الأدب المعاصر وتأريخه

١

مجلة المجمع العلمى العربى

البحث اللغوى

محاضرات

الدكتور شكرى فيصل

ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية
١٩٥٩

١٩٦٠



الصحافة الادبيـــة

مجلة المجمع العلمى العربى

البحث اللغوى

جامعة الدول العربية
معهد الدراسات العربية العالية

الصّحافة الأدبيّة

وجهة جديدة فى دراسة الأدب المعاصر وتأريخه

١

مجلة المجمع العلمي العربي

البحث اللغوى

محاضرات

الدكتور شكرى فيصل

ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية
١٩٥٩

١٩٦٠

المؤلف :

أستاذ في كلية الآداب « قسم اللغة العربية » بجامعة دمشق

ليسانس بدرجة الامتياز في الآداب من جامعة القاهرة ١٩٤٢

ليسانس في الحقوق من جامعة دمشق ١٩٤٦

ماجستير في الآداب بتقدير جيد جداً من جامعة القاهرة ١٩٤٨

دبلوم معهد اللهجات العربية « قسم اللغات الشرقية » بجامعة القاهرة ١٩٤٩

دكتور في الآداب بتقدير جيد جداً من جامعة القاهرة ١٩٥١

الآثار :

مناهج الدراسة الأدبية « عرض ونقد واقتراح » ١٩٥٢

حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول

« دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية » ١٩٥٢

المجتمعات الإسلامية في القرن الأول

« نشأتها ، مقوماتها ، تطورها اللغوي والأدبي » ١٩٥٢

مقدمة المرزوقي . في شرحه لحماسة أبي تمام « تحقيق » ١٩٥٢

جريدة القصر وخريدة العصر للعماد الأصفهاني ، الجزء الأول ١٩٥٥

نثر شوقي « بحث أعد لمهرجان شوقي » ١٩٥٨

الشاعر القروي « بحث في حياته وشعره » ١٩٥٩

خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني « الجزء الثاني » ١٩٥٩

الكتاب :

الكتاب ، في محاضراته الثلاث الأولى ، محاولة للنظر في الأدب المعاصر من خلال الصحافة الأدبية التي نشأ فيها وعاش بها ، ودعوة لمنهج جديد في التأريخ لهذا الأدب عن طريق استعادة نشأته وتمثل نموه في نطاق هذه الصحافة . ثم هو في محاضراته السبع التالية تطبيق جزئي لهذا المنهج على مجلة المجمع العلمي العربي في أبحاثها اللغوية . وقد ألقيت هذه المحاضرات في أيار ١٩٥٩ وطبعت هذا العام

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى

هذه الدراسة

تعريف بها وتوجيه نحوها

تمهيد :

هذا نحو جديد من أنحاء الدراسة الأدبية يريد معهد الدراسات أن يشق له طريقه أولا ، ثم يوصل هذا الطريق بعدُ ، فى سبيل استكمال دراسة الأدب المعاصر ، والاحاطة به ، والوقوف عند كل جزئياته وكلياته .

وما من شك فى أن هذا النحو الجديد سيثير انتباهكم ، وسيبعث عندكم كثيراً من التساؤل ، وسيدفعكم إلى ألوان من المطالعة وأفانين من النشاط ، أحسب أن دراستنا للأدب المعاصر فى أشد الحاجة إليها ، لأنها جزء أصيل وأساسى من هذه الدراسة .

ذلك أن القدر الأكبر من ثروتنا الأدبية إنما نشأ فى هـــذه الصحافة الأدبية ، وعرف وجوده فى صفحاتها ، إنها هى التى أعانت على ظهوره ، وشجعت على نموه ، ووهبته القدرة على التأثير . . بل لعلها هى التى كونته وأعطته بعض صوره وملامحه .

١ — وجهات مختلفة فى دراسة الأدب المعاصر

قلت إنه نحو جديد من أنحاء الدراسة . . وهل أحتاج أن أكشف لكم عن وجه الجدة فيه ؟ .

إن فى وسعكم إذا عرضتم برامجكم التى تدرسونها ، والمحاضرات التى تستمعون إليها فى دراسة الأدب المعاصر ان تلحظوا معنى الجدة الذى أحدثكم عنه . . فأنتم تدرسون الأدب العربى المعاصر فى ثلاثة من أوجه الدراسة :

ا — أولها أنكم تدرسونه فى تعرف هذه المذاهب الأدبية المختلفة ، وهذه المدارس التى نشأت منذ كانت اليقظة العربية ، فى الأرض العربية أو فى مهاجرها فى أمريكا . . وتصلون إليه حين ترصدون هذه التيارات الأدبية المختلفة التى تنتظمه ، أو تحاول أن تنتظمه .

ب — والوجه الآخر من أوجه دراستكم للأدب المعاصر أنكم تقفون عند أعلام هذا الأدب وذوى الخطر فيه ، تتعرفون هؤلاء الأعلام ، وتحيطون بترجمتهم ، وتدرسون نتاجهم وآثارهم ، وتتعمقون دراستهم فى إدراك ما كان من تأثرهم بمن قبلهم وأثرهم فيمن بعدهم .

حـ — والوجه الثالث أنكم تنظرون إلى هذا الأدب من خلال هذه الفنون الأدبية المختلفة وبخاصة هذه الفنون الناشئة التى لم يكن له بها عهد من قبل كالقصة أو المسرحية؛فتدرسون نشأة هذه الفنون وتطورها والطوابع التى كستها فى هذا التطور بين شاعر وآخر ، وقاص وقاص ، ومؤلف مسرحى ومسرحى آخر ، حتى يصل بكم ذلك إلى شىء من الإحاطة بهذا الفن الأدبى وصلته بالحياة ومدى ما بينه وبين القديم العربى من صلة، وتأثره بالفنون الأخرى وتأثيره فيها .

ومن التقاء هذه الأوجه وترابطها تنعقد دراستكم للأدب الحديث ، ومن تفاعلها من نحو وتكاملها من نحو آخر ترتسم فى أذهانكم صورة هذا الأدب ، وتتمثل مذاهبه ورجاله ، وتتضح خطوطه ومعالمه ، ويكون له فى أذهانكم هذه الحلقات المتصلة التى ينزل فيها الشعراء والكتاب كلٌ منزلته ، ويتحدد فى سير الأدب قدره وأثره .

وكذلك ترون أن معهد الدراسات العربية العالية ينفذ بكم إلى دراسة الأدب المعاصر من هـــذه السبل المختلفات . ومعرفةُ منهج الدراسة ، وغايتها ، وغرضها ، فى معهد ما أو فى كلية شىء أساسى جدا .. فليس يطلب منا ، فى الدراسات العالية ، أن نتعرف إلى الحقائق أو الآراء لحسب

وإنما نحن مطالبون فى أن نتعرف كذلك إلى السبل التى نصطنعها للوصول إلى هذه الآراء ، والمسالك التى نمضى بها ، حتى نحقق لدراساتنا وقراءاتنا أن تتلاقى وأن تتفاعل .. فلا نتلقى المعلومات مجزأة فى هذه المحاضرة أو فى هذا الاتجاه أو ذاك ، وفق هذا المنهج أو ذاك المنهج ، مع محاضر من إقليم ومحاضر من إقليم آخر . . ولكننا نتفقه فى هذه المعلومات ونناقشها ، ونأخذ منها ما نأخذ على بينة ، أو ندع ما ندع على بينة ، ثم نحاول بعد ذلك أن نلمها كلها وفاق هدف واحد ، هو إدراك هذا الأدب المعاصر فى تشكله ونموه . . ونحاول كذلك أن نؤلف بينها وفاق غرض آخر هو معرفة كيف سار هـــذا الأدب العربى المعاصر ، وما هى المعالم الكبرى فيه ، وما هى خطوطه الأصلية وخطوطه الفرعية ، ما هى اتجاهاته الأساسية واتجاهاته الجانبية ، كيف يتمثل لنا كوحدة ، وبم يتمثل ، ومن الذى تتابعوا على تمثيله ، ما هو خط التطور الواضح فى حياته ؟ .

إن هذه الغاية التى يجب أن تعيش فى أذهانكم هى هدف هذه الدراسات الادبية فى المعهد . وهذا الهدف ، إذا أحسنتم معرفته وإدراكه هو الذى ينظم دراساتكم ، ويجعل عملكم فيها خصباً منتجاً . . هو الذى يهبكم القدرة على استكناه الحقائق والوصول إلى الافكار الكلية . . إنكم حينذاك لن تقفوا عند محاضرات عن حافظ ، وأخرى عن شوقى ، وثالثة عن كرد على ، ورابعة عن المهجر ، ولن تقنعوا بالجزئيات التى تتعلمونها أو تتعرفونها منها ، وإنما ستحاولون أن تجمعوا ، فى تعمق ، هذه النتائج التى جاءتكم من هذه الطرق : طريق دراسة المذاهب ، وطريق دراسة الأشخاص ، وطريق دراسة الفنون ، وأن تقرنوا بينها فى نظام ، وأن تغنوا بعضها ببعض ، من أجل تمثل الأدب المعاصر فى نشأته ونموه تمثلاً كاملا .

هذه الطرق فى دراستكم للأدب تبدو لكم بوضوح إذا حاولتم أن تقفوا عند الكتب التى يضعها المعهد بين أيديكم . . إنكم تجدون فى هذه الكتب هذه الاتجاهات واضحة أشد ما يكون الوضوح. تجدون فى الاتجاه الذى يقوم على دراسة الأشخاص المحاضرات والكتب التى ألقاها الدكتور ناصر الحانى عن الزهاوى والدكتور مصطفى على عن الرصافى والدكتور محمد مندور عن خليل مطران وولى الدين يكن وإسماعيل صبرى ، والمرحوم الدكتور منصور فهمى عن مى زيادة والأستاذ أحمد الطاهر عن حافظ والدكتور محمد أحمد خلف الله عن الشدياق والدكتور سامى الدهان عن الأمير شكيب أرسلان والأستاذ شفيق جبرى عن المرحوم محمد كرد على والدكتور اسعد طلس عن المرحوم الشيخ عبد القادر المغربى .

وتجدون الاتجاه الذى يقوم على دراسة المذاهب والتيارات والخطوط الكبرى ، فى الكتب التى كتبها والمحاضرات التى ألقاها الدكتور جميل سعيد عن التيارات الأدبية الحديثة فى العراق والأستاذ صلاح لبكى عن التيارات الأدبية الحديثة فى لبنان والدكتور ناصر الدين الأسد عن الاتجاهات الأدبية الحديثة فى فلسطين والأردن والأستاذ محمد الفاضل بن عاشور عن الحركة الأدبية والفكرية فى تونس والدكتور محمد النويهى عن الاتجاهات الشعرية فى السودان والدكتور محمد مندور عن الشعر بعد شوقى والدكتور جميل صليبا عن الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام وأثرها فى الأدب الحديث .

وتجدون الاتجاه الذى يقوم على دراسة فن أدبى معين فى محاضرات الدكتور محمد مندور عن مسرحيات شوقى ومسرحيات عزيز أباظة، والدكتورة سهير القلماوى عن النقد الأدبى، والأستاذ روفائيل بطى عن الصحافة فى العراق والدكتور أمجد الطرابلسى عن شعر الحماسة والعروبة فى بلاد الشام والدكتور سهيل أدريس عن القصة فى لبنان والأستاذ محمود تيمور عن القصص فى أدب العرب ماضيه وحاضره والأستاذ شاكر مصطفى عن القصص فى سورية .

* * *

٢ – الوجهة الجديدة التي نوليها

أحسب أنكم عرفتم أين أنتم من دراسة الأدب المعاصر . انكشفت لكم هذه الأرض التي تعملون فيها ، واستبان منهج هذه الدراسة القائمة في هذه الخطوط المتوازية التي تقطع هذه الأرض من هنا وهناك .. ولعل الغاية البعيدة التي تهدف إليها هذه الدراسة أخذت ترتسم على الأفق البعيد الذي يبدو أنه غاية هذه الأرض الواسعة التي تقفون عليها .. إن مدى الغموض أو الوضوح في ذلك تبع للغنى الذهني والنفسي لكل منكم .

ولكن مهمتنا اليوم ليست في أن نتابع هذه الطرق من طرق الدراسة أو أن نمضي فيها .. وإنما مهمتنا أن نشق في هذه الأرض – في سبيل التعرف إليها – طريقاً آخر .. يحاول هو أيضا أن يصل إلى هذا الهدف البعيد في تمثل الأدب العربي المعاصر وتكوين فكرة كلية عنه أو – على الأصح – يعين على الوصول إلى هذه الفكرة .. إننا نحاول أن نرسم خطاً جديداً لا يتوازى مع هذه الخطوط السابقة وإنما يقطعها مخالفا لاتجاهها .. وإذا كانت الخطوط السابقة – على سبيل التمثيل – تقطع هذه الأرض طولاً ، فإن هذا الخط يقطعها عرضا ، ويقف حيث لم تقف المناهج الأخرى ، ويظفر بما لم تظفر به من جزئيات أو من أحداث أو من تفاصيل ، وقد يقع على ما لم تقع عليه من أفكار ، وقد يوضح ما كانت وقعت عليه أو يغنيه ... وهو – هذا الخط الجديد – سينتهي على كل حال إلى الغاية الأولى ، وسيكون ردفاً غنياً للدراسة الأدبية .

وأحب أن أقول لكم إن الفضل في شق هذا الطريق الجديد بين يدي الدراسة الأدبية يعود إلى الأستاذ الدكتور اسحق الحسيني فهو الذي اقترح عليّ هذا الموضوع ذات يوم في العام الماضي في حديث عارض.. وقد لقفت هذا الاقتراح لأنه كان في ذهني شيء من هذا الموضوع ... كان في ذهني دائما أن دراسة الأدب المعاصر لا تلقي بالاً إلى هذه الصحافة الأدبية الثرة التي

مهدت لهذا الأدب وأغنته ووهبته وجوده ، وأن أكثر الذين يدرسون هذا الأدب يقفون عند الأثر الأدبى ، عند الديوان أو عند الكتاب ، أو يقفون عند صاحب الأثر الأدبى .. ولكنهم يغفلون عن مراجعه التى نشأ فيها ، وتقلب فى أعطافها فى الحياة الأدبية ، وقد لا يضعون دائماً أدبه فى مكانه من النتاج الذى كان من حوله .. أى لا يضعونه فى حيّزه من لداته وأقرانه ، فى الظروف التى نشأ فيها ، فى الشرائط التى أحاطت به فكونته أو أخرجته هذا المخرج .. وبذلك يهملون مصدراً ثرّاً من المصادر التى تعين على إدراك مدى تأثر الأديب بمن حوله ، أو غيرته من حوله ، أو انحرافه عن حوله .. إنهم ـ أو أكثرهم ـ بمعنى آخر ، ينصرفون عن دراسة تطور الأدب فى هذا النحو من رصد التطور .. فاذا جاء معهد الدراسات يضع فى برامجه دراسة الصحافة الأدبية ، فمعنى ذلك أنه يريد أن يرسم نحواً جديداً لدراسة الأدب العربى ، وإذا جئت أحاضركم فى هذا النحو فمعنى ذلك أنى أشق معكم هذا الطريق ، وأنفذ بكم إلى غاياته ، قدر ما يكون من قابلية هذا الطريق للوصول إلى الغايات .. وسترون ، فيما نستقبل من حديث ، أنها قابلية خصبة غنية ، وأننا جديرون أن نفيد منها .

٣ — ألوان أخرى من الدراسة

١ — ولست أستطرد فى هذين المقطعين اللذين سألقى بهما إليكم .. فثمة نحو جديد من أنحاء الدراسة الأدبية بدأ هذا العام كذلك .. بل لعله بدأ قبلُ فى محاضرات ألقاها الأستاذ على باكثير عن « فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية » .. إنه ظهر كذلك فى هذا العام فى هذه المحاضرات التى ألقاها أستاذنا الأستاذ شفيق جبرى عميد كلية الآداب السابق فى جامعة دمشق حين حاضركم بعنوان « أنا والشعر » .. فاذا تعاقب المعهد على هذا الاتجاه وإذا هو استكثر منه ، وطلبه إلى الأدباء والشعراء الذين ينشئون هذه الآثار الادبية ، ويغذّون بها ضمير الجماعة أو يسمون بها حين يعبرون عن ذوات

نفوسهم ومسارب ضمائرهم . إذا استطاع الكثرة من شعرائنا وناثرينا البارزين أن يحدثونا عن تجاربهم ، وأن يقدموا بين يدى دارسى الأدب وناقديه هذه الاعترافات ، وأن يكونوا أقرب ما يكونون إلى الصدق فيها — فان معنى ذلك أن الدراسة الأدبية للأدب المعاصر ستغنى بنحو جديد من انحاء البحث لا يملك الأدب العربى القديم أن يظفر به .

أرأيتم إذن كيف يتشقق الطريق بين أيديكم فى دراسة الأدب ، وكيف تتخالف السبل والوسائل ؟ .

غير أنى أعيذكم مرة أخرى من أن تفردوا هذه السبل والوسائل ، وأن تنظروا إليها على أن كلاً منها منفصل مستقل .. إن مهمتكم أن توائموا بينها وأن تجمعوا بين نتائجها جمع مقارنة ومعارضة ومقابلة ، لتنتهوا بالأدب المعاصر ونموه إلى الرأى الأصيل .

ب — قلت إننا نبدأ دراسة جديدة ، وقد أبنت عن وجه الجدة فيها ، وعن مكانها من دراسة الأدب العربى المعاصر .. ولكن الانصاف يقتضينى أن أشير إلى أن هنالك من ، بين محاضرات معهد الدراسات ، محاضرات فذة ألقاها الأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة عن الصحافة فى مصر ... إن هذه المحاضرات دسمة الموضوع ، غنية الاتجاه ، ولكنها تختلف عن موضوعنا من وجهين اثنين :

أحدهما : أنها تتحدث عن الصحافة بوجه عام ، ولكنها تقصد فى الواقع إلى الصحافة اليومية بوجه خاص .

والآخر : أنها لا تتحدث عن تاريخ الصحافة الأدبية فى الإقليمين ، ولا عن دور هذه الصحافة فى دراسة الأدب العربى ، وإنما تعتمد هذه المقولة الخطيرة وتذهب تبرهن عليها وهى أن الصحافة المصرية — أذكركم بأنه يريد الصحافة اليومية — هى صانعة الأدب المصرى الحديث ، هى التى صنعت القصة ، وهى التى صنعت القصيدة ، وهى التى صنعت المقالة . وأهم فنون الأدب فى وقتنا

هذا ثلاثة : القصة والقصيدة والمقالة[١] ، ثم ننتهى إلى الحديث عن مستقبل الأدب فى ظل الصحافة[٢] .

٤ – الموافقات والمفارقات بين هذه الوجهات المختلفة

لقد استطعنا أن نعرف الموضوع العام لمحاضراتنا هذه : الصحافة الأدبية فى إقليمى الجمهورية ، واستبان لنا الوجه الذى يجعل منها نحواً جديداً من انحاء دراسة الأدب المعاصر لابد منه فى إحكام الفكرة عن هذا الأدب ، ووقفنا عند صلة هذه المحاضرات بالمحاضرات الأخرى التى تسمعونها أو تقرءونها فى معهد الدراسات . وأحسب أن من حقنا بعد هذا أن نلقى هذا السؤال التالى وأن نحاول الإجابة عنه :

« إذا كانت دراسة الصحافة الأدبية فى إقليمى مصر وسورية وجهاً جديداً من وجوه التأريخ لحركة الأدب المعاصر ، وأسلوباً جديداً من أساليب التعرف له .. فما الفرق بين هذا الأسلوب وبين الأسلوب الذى نتبعه فى دراسة الشخصيات أو فى دراسة المذاهب أو فى دراسة الفنون ؟ . أليس فى هذه الأساليب ما يغنى عن هذا الأسلوب الجديد ؟ ... ماهى أوجه الموافقة والمفارقة بين هذا الطريق الجديد وبين الطرق المألوفة ؟ . وهل فى هذا الطريق الجديد ما يبرره ؟ هل له من قوة نتائجه مايساعد على إفراده وتمييزه ؟

فى الجواب عن هـذه الأسئلة وأضرابها نستطيع أن نلمح المقارنات والحقائق التالية :

١ – قد يبدو للوهلة الأولى أن دراسة المجلات الأدبية ليس لها هذه الظلال الغنية على دراسة الأدب المعاصر لأن المجلة الأدبية ليست إلاهذا الوعاء الخارجى الذى انطوى على الأثر الأدبى ، أو ظهر فيه المنشىء الأدبى ،

---

(١) مقدمة كتاب الصحافة والأدب فى مصر ص ٢

(٢) للدكتور عبداللطيف كتاب آخر فى هذا الاتجاه بعنوان « أدب المقالة الصحفية فى مصر » وهو يشير فى بعض هوامش كتابه الأول إلى محاضرة للدكتور مختار الوكيل بعنوان : بين الصحافة والأدب . والدكتور الوكيل يشير إلى كتاب بعنوان : الصحافة والصحف للصحفى المرحوم عبد الله حسين .

وأننا حين نعرف هذا النتاج الأدبى أو هؤلاء الأدباء فإن دراسة المجلات لن تضيف إلى الذى نعرفه شيئا ذابال .

هذه النظرة الأولى خادعة لأنها تبدو وعليها من الحقيقة مسوح ... ولكننا يجب أن نستأنى قليلا .. فليست المجلة الأدبية هذا الوعاء الخارجى الذى ليس له من مهمة إلا أن يجمع جمعاً آليا بين هذه الآثار الأدبية أو بين هذه الأسماء الأدبية ... إن المجلة الأدبية فى الواقع شىء أبعد من هـــذا ، وانها – إذا بدأنا بالتشبيه فى سبيل تقريب الحقيقة – بمثابة الأرض التى تنبت فيها هذه الأزهار الأدبية .. فى أعماق تربتها تبدأ هذه الآثار حياتها ، ومن هذه الأعماق تستمد غذاءها ، وفى نطاقها ، تتآخى ، وتتجاور ، وتختصم ، ويجور الجذر على الجذور ، ويحجب النبات النبات : يحميه أو يغمه ، يظله أو يقتله ، يعينه أو يكون عوناً عليه .. ونحن لانملك أن ندرس الأثر الأدبى مجرداً عن هذه البيئة المادية والمعنوية التى ظهر فيها ... ومن الذى يستطيع أن يجرد المقالات الأدبية من روح المجلات الأدبية التى كانت تظهر فيها ... هل فى الوسع فهم الخصومات التى كانت تدور بين القديم والجديد مثلاً إلا فى نطاق هذه المجلات التى وعت هذه الحركات ومثلتها ؟ هل فى الوسع فهم معركة الثقافة البيضاء والثقافة السمراء بعيدة عن جو الصحف التى كانت تنتصر لهذه أو تلك وتعين على هؤلاء أو أولئك ؟ . هل نستطيع أن نفهم روح النقد اللغوى إذا نحن لم نقرأ هذا الذى كان يدور فى مجلة المجمع العلمى العربى من مناقشات ، وأن نطلع على الذى كان يبدو من خصومة ؟ .

فإذا جاء من يظن أن المجلة الأدبية جمع ووعاء .. فمعنى ذلك أنه يجرد هذه المجلات من كيانها ، من مهمتها ، من روحها التى كانت لها ... فالمجلات فى الحياة الاجتماعية كائن حىّ .. يغذو ويغتذى ، ويمد ويستمد ، يفعل وينفعل ، يشاطر ويخاصم ، يصادق ويعادى ، يرى الرأى ويحارب الرأى الآخر .. كائن نشط ، يقظ ، تتعاون عليه كثرة من العقول والقلوب ، فيكون

من ذلك أثره وعمله . والذين ينظرون إلى هذا الكائن غير هذه النظرة يهدرون هذا الكيان ، ويجردونه من هذه الروح اليقظة ، متجاوزين عنها . وكأنهم يغفلون عن أثر التربة الأولى فى النشأة والتكوين ، فى التنمية والتلوين .

٢ — وعلى ذلك فإن دراسة الأدب العربى مثلاً فى دراسة رجاله أو فى دراسة مذاهبه أو فى دراسة فنونه ، تطلعنا على هذا الأدب فى تشكلاته النهائية التى ظهر بها واضحاً فى شخصية رجل أو مندمجاً فى تيار أو مهتماً بفن ، ولكن دراسة الصحافة الأدبية تتيح لنا أن نتعرف إلى التكون الأولىّ والبطىء لجملة هذه الآثار الأدبية التى يتألف منها الأدب المعاصر.. إنها تعرفنا هذا الأدب فى أطوار تشكله ، وظروف نموه ، وهى لا تعرفنا بأدب شاعر أو بأدب مذهب ، وإنما تعرفنا بكل هذا الأدب أسبوعا بعد أسبوع ، وشهراً بعد شهر ، وهى بذلك تضع النتاج الأدبى فى أصل تربته التى نشأ فيها ... إننى أعرف مثلا من هو كرد على حين أقرأ ما كتبه شفيق جبرى عن كرد على ولكننى حين أتعرف إلى كرد على من وراء الصحافة الأدبية ، من وراء مجلة المقتبس ومن وراء مجلة المجمع فى نطاق كل الأدباء والشعراء ودعاة الإصلاح الذين كان يعيش بينهم ، فأنا حينئذٍ لا أسمع صوته وحده وإنما أسمع صوته بين أصواتهم ، وأتبين مقالاته فى زحمة مقالاتهم .. إنه بذلك يتمثل لى أشد وضوحا ، وأتعرف عليه وهو فى هذا الموكب تعرفاً أكثر عمقاً لأننى أستطيع بذلك أن اكتشف لِمَ كتب هذا المقال ، ولِمَ شارك فى هذه الفكرة ؟ من هم الذين كتبوا قبله ومن هم الذين كتبوا بعده؟.. ولم أخذ مقاله هذا الشكل ولم يأخذ هذا الشكل الآخر.. إننى ، بمعنى آخر ، أملك أن أتعرف الدوافع ، وأن أميز الأصوات من الأصداء..إن معرفتى هذه ستكون أكثر دقة ، وأبعد مدى ، لأننى أحيا مع الحياة الأدبية على أنها كلّ ، ثم أنظر فى هذا الأثر وحده ، أو هذا الرجل وحده ، أو هذا المذهب وحده . إن دراسة هذه المجلات تعيد علىّ صورة الماضى كله .. صورة تشكله ونموه ،

صورة الشجرة كلها وصورة أغصانها وأوراقها والنباتات التي تعيش في ظلها ، وبذلك أستطيع أن أجمع بين النظرة الكلية لكل النتاج الأدبي في بيئته المعنوية وظروفه الدافعة وبين النظرة الفردية لأثر بعينه أو لأديب بذاته ... ومن المؤكد أن مثل هذا الجمع سيتيح لي من العمق في الدراسة حظاً أوفى ونصيباً أوفر .

ويشبه هذا الذي أريد أن ألفت إليه من أهمية الدراسة في هذا الاتجاه ما يكون منا عند دراسة مسرحية من المسرحيات .. إنك أحياناً تلجأ إلى دراسة بطل من أبطال المسرحية ، فتتابعه في الفصول المختلفة ، وتتعقبه من مشهد إلى مشهد ، وترى ما يكون منه من قول أو فعل ، وما يدل عليه ذلك من ميل أو عاطفة ، وما يصور من طبع وخلق ... ولكنك أحياناً لا تدرس بطلاً معيناً ، وإنما تلجأ إلى دراسة المسرحية كلها في نظامها وتتابع حركتها ، في نموها وتعقدها ، في توزع اهتماماتها وفي تسلسل هذه الاهتمامات في فصولها المختلفة ومشاهدها المتنوعة ، في عقدتها وفي السير إلى هذه العقدة وفي حلها وفي السير إلى هذا الحل ... إنك هنا تدرس المسرحية دراسة كلية ، وتوقفك عند بطل معين يعطي هذه الدراسة طابعاً جزئياً .. والأمر كذلك في دراسة الأدب وتاريخ حركته من وراء دراسة رجاله ومذاهبه أو من وراء دراسة تكونه ككل ، وتتبع هذا التكون المتصل المتسلسل في المجلات الأدبية .

٣ — وعلى أساس من هـــذا فإن دراستنا للأدب المعاصر أو لبعض الحركات الكبرى فيه عن طريق المجلات الأدبية — وهي بطبيعتها كما رأينا التربة التي نبت فيها هذا الأدب والتقت فيها أنواعه المختلفة وشهدت تكون كتلته الكبرى — ستسعفنا في أن نقع على بعض الملاحظ ، أو نلمح بعض التأثيرات ، أو ندرك بعض الاتجاهات التي تغني نتائج الدراسة وتساعد على توثيقها .

إننا من هذا الطريق نستطيع — على الأقل — أن نمتحن النتائج التى انتهينا إليها حتى الآن فى دراسة الأدباء أو فى دراسة المذاهب ، فنؤكد أو ننفى ، ونثبت أو نمحو .

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك أن نلاحظ أن دراستنا لتطور لغة الأدب فى العصر الحديث وأساليبه لا يمكن أن تتم فى دراسة لغة الأدباء أنفسهم فى نتاجهم فحسب ، وإنما يفيد فى تعرف هذا التطور وإدراك عوامله ، أن ننظر ماذا كان يدور فى الجو اللغوى آنذاك من مناقشات ، وأن نطلع على ما كان يثار من أبحاث ، وأن نعرض لكل ما فى مجلة المجمع العلمى العربى مثلاً لنرى كيف كان يولد التعبير الجديد ، وكيف كان يتلقفه هؤلاء النقاد واللغويون بالتصحيح أو بالتخطئة ، بالتعديل أو بالتصويب ، وكيف كانت تدور حول ذلك المناقشات والأحاديث متصلة ممتدة حتى ينتهى الأمر بعد ذلك إلى شىء من غلبة أو شىء من تعديل ، غلبة الصيغة المستعملة أو تعديلها .

وما من شك فى أن الوقوع على هذا كله وأمثاله ، وتتبعه ، والسير معه فى مراحله البطيئة كلها ، سيترك بين أيدينا ثروة من الملاحظات تجلو لنا ، فى كثير من الوضوح ، أمر هذا التطور فى لغة الأدب .

٤ — وثمـة جانب آخر من الموضوع يستحسن كذلك أن ننبه إليه لإدراك قيمة هذا النحو من أنحاء الدراسة .. فنحن متفقون على أن كثرة كثيرة جداً من نتاجنا الأدبى إنما عاشت أولاً فى هذه المجلات الأدبية : ظهر فيها ونوقش على صفحاتها .. وأن هذه المجلات توشك أن تكون الحافظة لهذا التراث والمؤتمنة عليه ... وأن القدر الأقل من هذا النتاج هو الذى جمع بعد ذلك فى كتاب ، تتعاوره الأيدى ويفيد منه الباحثون ... أما الكثرة من هذا التراث فقد بقيت حيث هى من هذه المجلات .. وهذه المجلات لا تكاد توجد إلا فى دور الكتب العربية الكبرى ، وما أندر ما يقع عليها الإنسان كاملة .. إن رجلاً كالشيخ أحمد الاسكندرى ، وهو من

هو إسهاماً فى الحركة اللغوية والحركة الأدبية فى مصر - لايكاد يعرف عنه هذا الجيل الجديد إلا الأقل،ولو حاول أن يتعرفه لما وجد من أمركتبه شيئاً إلا هـذه الكتب التى شارك فيها مع كثرة من زملائه والتى طبعتها وزارة المعارف كالمنتخب والوسيط والمفصل ... أما دراسات هذا الرجل وبحوثه ومقالاته فهى لا تزال حبيسة هذه المجلات ، وإن له فى مجلة المجمع العلمى العربى قدراً صالحاً من البحوث .. ومثل الشيخ أحمد الاسكندرى كثير .. أفيكم من يستطيع أن يقول أين يجد الشاعر محمد الإمام العبد ؟ أفيكم من يعرف أن قدراً صالحاً مما كتب الدكتور طه حسين ليس فى كتبه التى نشرها والتى نتداولها ونعرفها ، وإنما هو فى بعض هذه المجلات التى قد أحدثكم عنها بعد ؟ من منا يستطيع أن يتمثل الآن الثروة التى يقع عليها إذا هو قلب مجـلة السياسة الأسبوعية أو مجلة المقتبس أو مجلة المجمع العلمى العربى .. إن كثرة نتاجنا الأدبى المعاصر لاتزال حبيسة هذه المجلات الأدبية،وقلة هى التى خرجت عن اسار هذه المجلات إلى نطاق الكتاب .. أفترون إذن كيف تكون دراسة الأدب العربى المعاصر فى مثل هذه المصادر دراسة غنية خصبة توسع آفاق البحث ، وتضع اليد على الكثرة من الجزئيات والشواهد ، وتعرفنا كيف تأصلت بعضُ المدارس ، وكيف نشأت المذاهب وقوىَ عودها، وتعرض لنا - فى تتابع زمنى محكم وفى إحاطة بالأجواء الجانبية كلها - صوراً واضحة دقيقة عن أدبنا المعاصر ؟ .

إننا حين نمضى فى دراسة هذه المجلات سنجد بين أيدينا ، وبصورة عملية ، أدلة جلية على خير هذه الدراسة وفائدتها .

٥ — وأخيراً فإن لهذه الدراسة وجهاً آخر محبباً .. وجهاً من الطرافة يبدو حين نقع على نشأة هذا الأدب المعاصر وحين نلمح طفولته الفنية وسماته الأولى .. ونرى هؤلاء الأدباء كيف كانوا وأين هم الآن .. إننا نحس حين نقلب صفحاته مثل الذى نحس حين نقلب صوراً لأهلينا الأدنين . أوليس

من الطريف المثير أن نقرأ مقالاً للدكتور طه حسين منذ ثلاثين سنة فى مجلة الحديث ، أو مقالا للعقاد أو المازنى أو هيكل منذ أربعين سنة فى السياسة ؟ وأن نقرأ كيف كان كرد على ينظر إلى المدنية الأوربية فى المقتبس، وكيف كان يقع على الكتاب الأجنبى فيحاول أن يعتصره ليقدمه لقومه ، وكيف كان ينظر إلى المجتمع فى مصر والشام؟ أليس من الطريف المثير كذلك أن نرى كيف كانت نظرة خليل مردم إلى الشعر من خلال نقده لديوان ما ، وأن نتابع شفيق جبرى فى مقالاته ودراساته ؟ أليس من الجميل أن نقع على كل هذه الأشياء التى تؤلف جزءاً من كياننا المعاصر ، والتى نحيا فى خطّ تطورها لأن حياتنا لا تزال مشدودة إليها ، موصولة الأطراف بها ؟

٦ — وبعد ، فهذا الذى أقوله كله إنما أقوله على أساس من افتراض أن هذه المجلات الادبية ليس فيها إلا هذا النتاج الادبى ، وأن نفعها قاصر على معرفته ودراسته .

ولكن المجلات الادبية ليست هذا فحسب ، ونفعها ليس قاصراً على التعرف إلى هذا النتاج .. إنها تفيد فى التعرف إلى الادب بمعناه العام ، إلى الدراسات الإنسانية المختلفة التى تحيط بالادب والتى تؤثر فيه .. وهى تفيد كذلك للذى لها من أثر فكرى ومن أثر خلقى .. إن المجلات ظاهرة ذات جوانب متعددة ، والتعرف إلى قيمة المجلات ودورها هو الذى أرجو أن يكون موضوع المحاضرة المقبلة إن شاء الله .

المحاضرة الثانية

قيمة المجلات الأدبية وأثرها

كانت المحاضرة السابقة تعريفا بالموضوع الذى نتحدث عنه : موضوع الصحافة الأدبية وفائدته فى دراسة الأدب المعاصر وأثره فى إغناء هـذه الدراسات الأدبية التى نضطلع بها حين نأخذ أنفسنا برصد الحركة الأدبية المعاصرة وتأريخها .

وقد قلت لكم آخر المحاضرة إن هذا جانب من جوانب الصحافة الأدبية،وإن لها ، إلى ذلك ، جوانب أخرى يفيد منها الباحثون والدارسون، ووعدت أن يكون موضوع المحاضرة اليوم هـذا التعريف الأتم بقيمة المجلات الأدبية كظاهرة من ظواهر الحياة الفكرية .

لعل أفضل مانفعله فى المرحلة الأولى، من أجل أن نتبين قيمة المجلات فى كل نواحى حياتنا المعاصرة ، سواء فى ذلك المجلات التى تتناول الاجتماع أو تمس السياسة أو تقتصر على الأدب أو تشارك فى العلوم ، أن نغمض أعيننا فنتمثل ماذا كان يكون الأمر لو لم تكن هذه المجلات موجودة .. لولم يقدر لها أن تظهر ؟ . أية خسارة كبرى كانت تحيق بالحياة الفكرية لولم تظهر مجلة السياسة الأسبوعية أو مجلة المقتطف أو هذه المجلات التى لم يبعد عهدنا بها كالزهراء والثقافة والرسالة ؟ . إن كثرة من الظواهر الفنية فى حياتنا الفكرية كانت تغيب عن الساحة فتختنق فى نفوس أصحابها أو تموت فى أذهانهم لأنهم كانوا لا يجدون المتنفس الذى يتيح لهم أن يكشفوا عن هذه الآراء التى تدور بها عقولهم ، أو يصوغوا هذه الأنظار التى تهدر فى حياتهم الداخلية . . . إن أبسط ما نستطيع أن نتمثل به هذه المجلات أنها الميدان الذى يظهر فيه المفكر - أيا كان اختصاصه أو اهتمامه - على مسرح الحياة ليسهم فى التقدم الإنسانى .

فإذا أحسسنا هذا فى تعرف المجلات ، للوهلة الأولى ، جاز لنا أن ننطلق نتعمق هذه المعرفة فنتناول قيمة المجلات وأثرها .

قلت إن المجلة ظاهرة من ظواهر الحياة الحديثة . . أو لنقل إنها مؤسسة من مؤسسات هذه الحياة الخصبة التى يعيشها العالم فى هذين القرنين . . . إنها وجدت مع هذا التقدم الفكرى الذى غمر العالم ، وهذه الحاجة إلى تبادل الرأى وتقابل الفكر ـ قبل أن يكون قادراً على أن يُتمثل تمثلاً كاملاً فى كتاب ـ بين المفكرين .

وليس من غرضنا الآن أن نؤرخ لهذه الظاهرة أو نبحث عن نشأتها فى أوربا ، فما نملك من المجال ولا نجد من الحاجة الماسة ما يدفعنا إلى ذلك وإن كنت أوثر للذين ينشدون المعرفة منكم حقاً ويجدون الدراسة فى مثل هذه المعاهد فرصة لإغناء فكرهم وتثقيف ملكاتهم ـ أن يرجعوا إلى بعض الكتب فى تاريخ الأدب فى اللغات الأجنبية . . . وسيجدون هناك من يعنى بدراسة نشأة هذه المجلات والحديث عن تطورها .

ومهمتنا الآن أن نجيب عن هذين السؤالين : ما قيمة المجلات أولاً ، ثم ما هو أثرها بعد ذلك .

١ ـ قيمة المجلات

أما عن قيمة المجلات فنستطيع أن نركز ملاحظاتنا فى النقاط التالية :

هى مدرسة للمثقفين :

فهؤلاء المثقفون الذين ينقطعون عن الدراسة المتصلة بحكم نظم الحياة القائمة ومشاغلها لا يجدون ما يشبعون به رغباتهم فى الاطلاع غير هذه المجلات ، تصل بينهم وبين مناحى اهتماماتهم الثقافية ، وتغذّى فيهم هذا التطلع ، وتكون بمثابة الحصة الأسبوعية أو الشهرية من الغذاء الذى يقدم لهم . . . إن المجلات ، بالنسبة إلى هؤلاء الناس ، هى استمرار لحياتهم العلمية ومتابعة لهذا المدّ الذى بدأوه . . وعلى قدر ما يكون من إفادتهم منها والتفاتهم

الدائب إليها يكون حفاظهم على هذا الألق العلمى فى نفوسهم . . . وحين ينقطعون أو يغفلون فمعنى ذلك أن مرحلة الجزر فى حياتهم الثقافية قد أخذت طريقها إليهم . . إنه ما من شىء آخر يحفظ على المثقفين شعلة الثقافة التى أوقدتها فى نفوسهم دراساتهم الأولى مثل هذا الوقود الذى تمثله المجلة . . ولهذا تعنى المؤسسات الكبرى العلمية أو الفنية ، مهما يكن وجه نشاطها نظرياً كان أم تطبيقيا ، فى أن يكون لها مجلة ، وأن تكون هذه المجلة ملتقى الدراسات والأبحاث والملاحظات المتصلة بموضوعها ، وأن توضع بعد ذلك فى أيدى كل المتصلين بها وتحت أبصارهم .

وليس استطراداً أن أفيد من هذه المناسبة لأقول لكم إن من أبرز نواحى النقص فى حياتنا الثقافية أن مثقفينا يقطعون ما بينهم وبين ثقافتهم الجسور حين يعبرون إلى الحياة العامة . . . إنهم لا يلاحقون هذه الثقافة عن طريق المجلة أو عن طريق الكتاب مثلا . . . ولذلك سرعان ما يتوقفون عن النمو فى هذا النحو ، ثم تذوى هذه النبتة فى نفوسهم ، ويضمر وجودهم الثقافى ، فإذا هم أقرب إلى الجهالة منهم إلى العلم ، وإذا هــذه الثقافة التى اكتسبوها أول العهد لا تكاد — أمام التقدم المستمر للفكر — أن تفى بحاجتهم وتنهض لمتطلبات الحياة ، فيتقهقرون ويتأخرون من حيث لايشعرون . . لأن التوقف فى الحياة التى تُغذّ السير معناه العلمى التأخر والتقهقر .

ولهذا لا بد لنا من أن نعنى بهذا النحو من تغذية الثقافة ، ولا بد لكل منكم من أن يضع هذه الحقيقة موضع اهتمامه فى حياته الخاصة أو حياة من حوله إذا أردنا لحركتنا الثقافية أن تكون حركة مثمرة منتجة .

٢ — هى مدرسة لعامة المتعلمين :

وليست المجلات للمثقفين الذين يريدون أن يتابعوا ثقافتهم ، ولكنها كذلك لهؤلاء المتعلمين الذين لا يملكون الفرصة للدراسة المنظمة ولايجدون

فى حياتهم ما يعينهم على ذلك وييسر لهم أسبابه . . . إن عامة المتعلمين يجدون فى المجلة، والمبسطة خاصة ، الفرصة التى فاتتهم فى الانتساب إلى معهد أو الالتحاق بكلية . . إنها تبسط لهم المعرفة الجديدة وتتيح لهم أسبابها ، وكثيراً ما تكون المطل الذى ينظرون منه إلى التقدم الفكرى . . . بل كثيراً ما تكون سبيلا إلى إثارة ما عندهم من حدس خفى وفكرة جبلية . . إن دور المجلات عند هؤلاء هو دور التعريف والتثقيف والتوضيح لكل مظاهر الجدة فى الحياة فلا .. يعيشون فيها على حين يظلون منعزلين عنها .

٣ — هى مدرسة لتخريج الناشئين :

والمجلات ، بعد ذلك ، مدرسة حرة لتخريج الناشئين الذين يحسون التفوق أو يجدون فى نفوسهم بذوره الاولى . . ذلك أن هؤلاء الناشئين يتصلون بأبحاث المجلات وكتابها اتصال تفاعل وتأثر . . اتصال التلميذ بالاستاذ . يتعلمون منه ويقبسون من رأيه ويتأثرون أشد التأثر بخلقه ونهجه وأسلوبه . . وكثيراً ما يرقبون نتاجه ويحسون له فى حياتهم مثل أثر الهداية والنور . . إن أفكارهم تحيا ، وتتغذى ، وتنمو ، فى هذه المجلات .. والحرف الأسود يوول أن يكون بين أيديهم شعلة ضوء ، ومذاهبهم فى الحياة إنما تشقها لهم هذه الأوراق الهينة اللينة التى لا حدّ لها . . إن مثلهم العليا تتبلور فى هذه المجلات لأنهم يقفون من كتابها ومن كتاباتها موقف المريد المتأثر أو موقف المخالف المتأبّى . . وتكون هى منهم بمثابة المربّى الذى يفجّر عندهم قواهم ويوجه هذه القوى .

وما أحتاج أن أضرب لكم الأمثلة . . إن كثرة من الأدباء الذين كانوا ناشئين وجدوا فى مقالات السياسة الأسبوعية غذاءهم ونفذوا منها إلى ما كانوا يجهلون من أمر الأدب والأدباء ،والتاريخ والمؤرخين ، ومجالات الثقافة الاخرى فى الفن أو الفلسفة . . . إن مجلة السياسة كانت ، وفى فتوتها خاصة ، بمثابة المدرسة أو الجامعة ، كانت برامج معارف ومحاضرات أسبوعية أفاد منها كل هؤلاء الألوف الذين كانوا يرقبونها . . وفى عهد

قريب كانت مقالات الأستاذ الزيات أو الرافعى فى مجلة الرسالة تُترَصَّد رصداً وتترقب ترقباً فى كثير من بلاد الشرق العربى . . . ومن منا لا يذكر كيف كانت مقالات الدكتور طه حسين التى كان ينشرها فى الصفحة الثالثة فى الأهرام فى عهد الوزارات السعدية . . . إن جيلاً كاملا من الناشئين تخرج بهذه المقالات والمجلات وأمثالها مما تعرفون أنتم ، فى أنفسكم أو فيمن حولكم ، أمثلة صريحة جلية منه .

* * *

تلك هى معالم لتوضيح قيمة هذه المجلات ، لا أقصد منها إلى الحصر بمقدار ما أقصد إلى الإشارة والتمثيل ، فمثل هذه الأمور المعنوية تستعصى على الحصر ، والتقسيمُ والتجزئة فيها إنما هو محاولة تدريسية . . وحسبنا — من باب الإجمال — أن نرى فى المجلة عاملاً من عوامل الحركة الفكرية لا يقلّ عن أى عامل آخر من هذه العوامل الكثيرة التى نعرفها والتى يلح المتحدثون فى تاريخ حركة الفكر وتطوره على الحديث عنها . . إنها جهد لا يقل عن أى جهد آخر أو أثر آخر خلفه هذا الرجل أو ذاك من رجال الفكر فى النطاق الأدبى أو فى النطاق العلمى أو فى النطاق الفنى . . . وإذا كنا نتحدث دائما ، ونحن نرصد الحياة الأدبية مثلا ، عن أشخاص بأعيانهم، عن كائن حىّ اسمه فلان أو فلان ، عن هذا الناقد وأثره فى إغناء النقد ، أو ذاك الأديب وعمله فى تطوير الأدب — فنحن جديرون كذلك أن نتحدث عن هذه المجلة أو تلك وأن نتبين أيضا عملها وأثرها فى هذا النحو أو ذاك من نواحى الحياة الأدبية .. إن المجلة أيضاً كائن حىّ كما سبق أن قلت ، له سماته وعلاماته ونشاطه ، هى أيضا هذا الكائن الغنى الذى يطوى بين دفتيه مجموعة من الحيوات الأخرى التى تداخله ليكون منها كلها دعوة إلى وجهة ، أو لفت إلى فكرة ، أو تنبيه إلى ظاهرة . . إن المجلة ، ليست إنسانا بعينه ولا كتابا بعينه ، ولكنها مجموعة من الناس ومقدمات لكثير من الكتب . . . وإذا كنا نشيد فى الحياة الأدبية أيضا — ونحن نقتصر على التمثيل بها لأنها مجالنا

الأصيل — بأثر المرحوم الأستاذ أحمد أمين فيجب أن نشيد بمجلة الثقافة ، وإذا كنا نذكر فضل طه حسين وحسين هيكل، فيجب أن نذكر فضل مجلة السياسة والكاتب . وإذا كنا نعترف لكرد علي بالأثر الذى خلفه فيجب أن نعترف بفضل المقتبس . . وإذا كنا نذكر أثر شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب فى الفكر السياسى المعاصر فيجب أن نذكر كذلك مجلة الفتح . . . إن قيمة المجلات تماثل قيمة الأفراد . . إنها أيضا مثلهم حياةً وأثراً وغنى .

٢ - أثر المجلات

فإذا جاوزنا الحديث عن قيمة هذه المجلات إلى الحديث عن أثرها أمكننا — من أجل إيضاح هذا الأثر — أن نتبينه فى ناحيتين : الناحية الفكرية والناحية الخلقية .

١ — فى الناحية الفكرية :

أدركنا من كل الذى مضى أن المجلات تشبه أن تكون — بل هى حقاً - بيئة فكرية . . . وفى هذه البيئة يجد الفكر كل الذى يصححه وكل الذى يغنيه ، كل الذى يهدمه وكل الذى يجدده . . فيها يستوى هذا الفكر - مهما يكن صبغه علمياً كان أم أدبياً - بنار النقد ،فتنضجه هذه النار ؛ وقد تحاول أن تحرقه كما يفعل بعض النقاد المتطرفين حين يصبون كل ثقلهم على فكرة جديدة أو مذهب أدبى جديد . . إن المجلات ليست بيئة هذا كله بل هى البيئة الوحيدة لهذا كله . . ونحن نستطيع أن نقدر مدى أثرها فى الحياة الفكرية ، كما قلت أول المحاضرة ،لو تمثلنا هذه الفترة الأخيرة من حياتنا خلواً من هذه المجلات . . أكان يمكن أن تكون آراء الدكتور طه فى الأدب ، واتجاهات الأمير شكيب فى الإصلاح والسياسة ، ووجهات العقاد فى النقد، وأثر المازنى فى تطوير الأسلوب ، أكان يكون هذا كله فى مثل الذى له من الغنى والإثارة لولا هذه المجلات التى تولت أمره ، ومهدت له ، وكانت سبيله إلى الظهور ؟ .

بل إن هذه المجلات كانت سبباً لظهور مذاهب بأعيانها فى العلم والفلسفة والنقد ، وعديدٌ من هذه المذاهب كانت مقالة المجلة بذرته التى أنبتت شجرته هذه الوارفة حين انطلق صاحبه ينميه ، أثراً للنقد أو للتأييد ... ويحدثنا الدكتور اسماعيل مظهر أن كتاب أصل الأنواع كان مقالة .. بل لِمَ نذهب بعيداً ؟ ألم تكن آراء الدكتور طه فى جوانب من الأدب الأموى والعباسى مقالة حديث الأربعاء ؟ . ألم تكن آراؤه فى الأدب الجاهلى مقالة كذلك ؟ . ألم تكن بداية كتب العبقريات التى كتبها العقاد مقالاً أيضاً ؟ .

إن أثر المجلات فى الناحية الفكرية يتلخص فى أنها تتيح لهذا الفكر فرصة الظهور ، وأنها تمكن له من فرص النمو ، وأنها أخيراً تغنيه بما تيسر له من نقد .. إنها بتعبير آخر ، تسمح لكل فكرة أن تظهر ثم تُستنطَق بعد ذلك .. إن المجلات هى ميدان الخلق والاصطفاء على السواء .

٢ — فى الناحية الخلقية :

أثر المجلات كذلك فى الناحية الخلقية قوى واضح ، والأصل فيه إنما يعود إلى روح النقد التى تحملها المجلة .. إنه أثر إيجابى حين تنظر إلى ما يكون من عمل المجلات فى إثارة القوى الخامدة ، وبعث النشاط فيها .. ذلك أن المجلة من هذا النحو ميدان مباراة ، وما أكثر ما تشحذ المباريات القوى ، وتلهب العزائم ، وتوقد فى النفوس شعلاً ما كانت لتتقد لولا النقد . ويتبدى هذا الأثر الخلقى من نحو آخر فيما يكون من تنقية الخلق العلمى وتهذيبه بالذى يتيحه النقد كذلك من فرص التمحيص والتصفية .. فالخلق العلمى معرّض ، ككل خلق آخر ، إلى أن يؤخذ بالغرور أو الاعتداد أو ضيق الأفق أحيانا ... ولكن النقد يحاول أن ينقيه من ذلك وأن يجرده من هذه العيوب ، وقد يقسو عليه ، وقد ينحرف الناقد ، غير أن المحصلة النهائية لهذا التجاذب والتدافع إنما هى تقويم لهذا الخلق من نحو وإغناء له من نحو آخر .. ومن يدرى ماذا كان يكون من أمر شوقى لولم

يسلط عليه ما سلطه العقاد والمازنى فى الديوان وغيره . . وماذا كان يكون من أمر حركة القديم والجديد والقدماء والمجددين لو لم تلق هذه الحركة من هنا وهناك مثل هذا النقد العنيف الذى لقيته فى وجهتيها كلتيهما .

° ° °

لقد عرفنا أثر هذه المجلات فى الناحيتين : الناحية الفكرية والناحية الخلقية . وفى وسعنا أن نقول بعدُ ، لنوضح هذا الأثر بوجه عام ، إن المجلة يتجاذبها فى العادة محوران يستقطبان كل أبحاثها هما : العرض والنقد ، فحول هذين الخطين العريضين يلتقى كل ما يكتب فى المجلة : عرض الفكرة الجديدة أو الكتاب الجديد أو الأثر القديم ، ونقد هذه الفكرة الجديدة أو الكتاب الجديد أو الأثر القديم . . ومن خلال هذا الاحتكاك بين العرض والنقد ، من جراء لقائهما أو اصطدامهما ، تعارفهما أو تناكرهما ، حربهما أو سلمهما ، تتشقق الطرق ، وتتسع المجالات . . ومن جراء هذه الحركة الرائحة الغادية بين العرض والنقد يَرِى الزند ، وتتساقط الشرارات ، وتتفتح فى ضوئها المغاليق . . . إن البذور الأولى تجد فى أرض هذه المجلات تربتها ، والمذاهب الكبرى كذلك تغذوها هذه التربة . ومن خلال حركة العرض تستطيع المجلة أن تؤدى دورها فى إيجاد هذا الفكر ، ومن خلال حركة النقد تستطيع أن تؤدى دورها فى إغناء هذا الفكر . . إن عمل هذه المجلات هو التعريف والتصحيح والتقويم فى النطاق الفكرى وفى النطاق الخلقى على السواء .

وإذا كانت المجلة كما رأينا كائناً حياً ، فإن لها ما للكائن الحى المتميز من رسالة ومن دءوب على هذه الرسالة . . ولا يظنن ظان أن كثرة الكتاب فى مجلة يحول بينها وبين أن يكون لها رسالة معينة إذ تكون مشدودة إلى عدد من الآراء بعدد الكتاب أنفسهم .. فالمجلة ، على هذا ، يتكون لها — مع الزمن — اتجاه ، ويتمثل لها طريق ، ويصبغها لون ، وتبدو بعد ذلك فى كتابها وفى مقالاتها معبرة عن هذا الاتجاه ، ماضية فى هذا الطريق ، خاضعة لهذا اللون . . ومن ذلك كله تصاغ رسالتها التى تدفع إليها أو تدافع عنها . . . إنه

مجلة المقتطف حملت الدعوة إلى العلم ، ومجلة الزهراء حببت بالتراث وقربته ، ومجلة الثقافة زرعت التفكير الصافى فى الأدب والسياسة والاجتماع ، ومجلة الرسالة مثلت الأدب الرفيع الخالص ، ومجلة المجمع العلمى العربى حملت عبء تنقية اللغة والحفاظ عليها .. كان لكل من هذه المجلات روحها ورسالتها التى جهدت فى سبيلها وبشرت بها .

° ° °

آية هذا كله أن للمجلات قيمتها وأثرها هذا الذى حاولنا أن نجليه ، وأن هذه القيمة وهذا الأثر يُنزلان المجلةَ من تاريخ الفكر منزلة سامية ... فهذه المؤسسة الفكرية لا تقل عن أية مؤسسة أخرى من المؤسسات الثقافية .. وحين نذكر الجامعات والمخابر ودور البحث والأفراد والشخصيات المتميزة ، فيجب أن نذكر كذلك معها وفى صفها المجلات .. بل أن المجلات لتسبق بعض هذه المؤسسات لأنها تملك من الحرية والقدرة على الإثارة ما لا يملك غيرها ، وتستطيع أن تعطى من النتائج ما لا يحققه سواها ... وقارنوا بين المجلة وبين الجامعة كمؤسستين فكريتين تجدوا أننا مقيدون فى الجامعة بسلسلة من القيود ، فنحن مقيدون بالهدف التعليمى وبالحدود التى يفرضها ، ونحن مقيدون بالتقاليد الجامعية وبالآماد التى ترسمها هذه الروح ، ونحن مقيدون أحياناً بكثير من شعور المحافظة أو التأنّى ... ولكننا فى المجلة لا نجد أننا مضطرون لكل هذه القيود ، وليس ما يكرهنا على أن نلتزم الغاية التعليمية أو الشعور المتأنى ، وإنما نحن نلقى بالفكرة جريئة أو محافظة ، موجزة أو مفصلة ، بل إننا كثيراً ما نحمل أفكارنا التى تتولد فى الجامعة لنلقى بها فى المجلات لأن الجامعة أحياناً لا تتسع - لسبب أو لآخر - أن تكون ميداناً لها .

إن هذا الذى نقوله عن المجلات ينطبق على المجلات كلها ... وإذا كانت أمثلتنا تجنح إلى الاستشهاد بالمجلات الأدبية فليس ذلك إيثاراً لها ، وإنما هى

طبيعة البحث تسوقنا إلى هذا الجنوح ... وإلا فالمجلات فى هذا كلها سواء، المجلات الأدبية والمجلات العلميـة ، المجلات السياسية والمجلات ذات الصبغة الاجتماعية .

* * *

وإذا كانت المجلات بمثل هذه القيمة الكبيرة والأثر البالغ ،أفلا يحق لنا أن نتساءل — دون أن يكون فى هذا التساؤل نوع من الاستطراد أو التوجيه — هل يدرك كل الذين يقومون على مجلاتنا فى الوطن العربى خطرَ الساحة التى يتقدمون للعمل فيها ، وضخامة الأثر الذى يخلفونه؟ .. أيدركون أنهم حين يتصدون لمثل هذا العمل الفكرى الضخم إنما يتحكمون فى غذاء الآلاف من الناس : غذائهم الفكرى ، وأن فى أعناقهم أمانة الوفاء لهذه الآلاف وإيثارها بكل خيّر مفيد ؟ ... أيفكر الذين يصدرون كثرةً من المجلات عندنا فى مدى ما يجب أن يتسلحوا به من غنى ثقافى وزاد فكرى وثروة خلقية تتيح لهم أن يكونوا أهلاً لحمل هذه الأمانة الثقيلة ؟

وبعد ، فلعله من أجل هذه القيمة الكبيرة للمجلات أنها نشأت فى انجلترا فى أوائل القرن التاسع عشر قبل أن تنشأ فى غيرها . . . ولعله من هذا الأثر الخطير لها أنها اتجهت فى ألمانيا قبل أى بلد آخر إلى التخصص فى فروع معينة من فروع المعرفة ، فكان لكلٍّ منها مجاله الخاص . . . غير أن هذا وجه من البحث التاريخى ، وليس من شأننا أن نخوض فى البحث التاريخى عن نشأة المجلات فى الغرب وتطورها وعن نشأتها فى الشرق العربى وتطورها ، فقد آلينا أن نستبعد هذه الدراسة التاريخية دراسةً مباشرة لأنها بتاريخ الأدب ألصق . . وإن كنا سنقع عليها حين نحاول أن نعرض المجلات الأدبية واحدة بعد أخرى إن شاء الله .

* * *

لقد استبان لنا فى هاتين المحاضرتين معنى هذا الاتجاه فى دراسة المجلات الأدبية ، وعرفنا قيمة المجلة بعامة وقيمتها فى تاريخ الأدب المعاصر ، وأثرها فى الذهن والخلق معا .. ونحن جديرون بعدُ أن نتجاوز هذه

المقدمات إلى عمل تطبيق فنتناول دراسة مجلة بذاتها ، ونرى ما كان من أثرها في الحياة الفكرية وفي الحياة الأدبية بوجه خاص ، وكيف كان تطورها وماذا كانت الطوابع الغالبة عليها ، ما هو الوجه من وجوه الحياة الأدبية الذي تتكشف عنه وتومىء إليه .

إننا نرجو أن نتناول في المحاضرات القريبة المقبلة مجلة المجمع العلمي العربي .. ولكننا سنقدم بين يدي ذلك تعريفاً بالمنهج الذي نحاول أن نلتزمه في هذه الدراسة .

منهج هذه الدراسة

القسم الأول : تخطيط عام

ما هو المنهج الذى نستطيع أن نأخذ أنفسنا به بعد أن تبينا موضوع هذه الدراسة : الصحافة الأدبية ، وأثره فى إغناء الدراسة الأدبية وما يكون له من نتائج واضحة فى تاريخ الأدب العربى المعاصر ، وبعد أن تعرفنا قيمة المجلات بوجه عام وتأثيرها ؟

من الواضح أننا فى سبيل رسم منهج هذه الدراسة لا نستطيع أن نتكىء على الباحثين قبلنا ، ولن يكون فى وسعنا أن نفيد من تجاربهم . . ذلك لأن هذه الدراسة بطبيعتها ـ فى الذى استبان لكم من أحاديثنا السابقة ـ دراسة جديدة غير مسبوقة ، وأن أحداً من الدارسين لم ينظر فى الصحافة الأدبية هذه النظرة التى نريد أن نأخذها بها ، ولم يفد منها فى الوجه الأدبى الذى نحاول أن نفيد منه نحن الآن . . . إن فى مكتبتنا العربية بعض الأبحاث عن تاريخ الصحافة بوجه عام كهذا الكتاب الضخم الذى صنعه فيليب دى طرازى ، والكتاب الآخر الذى كتبه الأستاذ ابراهيم عبده عن تاريخ الصحافة المصرية ، وفى منشورات معهد الدراسات كتاب الأستاذ عبداللطيف حمزة الذى حدثتكم عنه فى محاضرة سابقة ، وهو كتاب يتناول الحديث عن الصحافة من حيث هى مهنة وعن صلة ما بينها وبين الأدب ، وهو يلقى باله فى محاضراته القيمة إلى الصحافة اليومية غالبا ، ولا يكاد يتعلق بالصحافة الأسبوعية أو الشهرية ذات الطابع المستأنى إلا فى الأقل . . . فإذا قلنا إن أحداً لم ينظر فى الصحافة من هذه الزاوية التى نريد فلن يكون فى هذا الذى نقول شىء من مبالغـــة . . اننا لا نريد أن نعنى بتاريخ الصحافة ، ولا نريد أن نعنى بالصحافة من حيث التعرف إليها واكتناه أساليبها .. بمعنى

أننا لا نريد أن نعنى بالذى يجب أن تكون عليه الصحافة ،وإنما نحن نريد أن نعرض لصحافتنا الأدبية ، بمجلاتها ، بوجه خاص ، منذ نشأت هذه المجلات فى ظلال نهضتنا الأخيرة فى الوطن العربى ، وأن نتبين ما كان من أثرها . . .
نودّ أن نظفر بدراسة نشأتها وتطورها مستعرضين هذه المجلات واحدة بعد واحدة،مستنبطين ما كان من عملها فى الأدب المعاصر، فى شدّ أزر بعض المدارس أو تأييد بعض التيارات ، أو إثارة بعض الاتجاهات .. ما كان من تجديدها أو محافظتها ، من شرها أو خيرها .. ما كان من فضلها على الأدب أو تأثيرها فيه ، وما كان من صلاتها بالكتاب وتنشئتها لهم . . . وبصورة أخرى نحن نريد أن ننظر فى هذا الأدب المعاصر الذى نهتم به هنا فى معهد الدراسات من خلال الصحافة الأدبية التى نشأ فى ظلالها ، ورأى نور الحرف على صفحاتها ، ولقى جمهور الناس والمثقفين عن سبيلها .

إن بحثنا من هذا النحو جديد كما قلت ، لأنه يحاول من جهة أن يعيد تكوين تاريخ الأدب المعاصر من زاوية جديدة . . هذا أولاً ، ولأنه من جهة ثانية يمكن أن يكون هو ذاته نوعا من تاريخ الأدب ، لأنه تاريخ لهذه المجلات التى هى مظهر هذا الأدب - أى مكان ظهوره - وميدانه الذى يجول فيه .

وإذا كان ليس لهذا البحث من سابقة ، فان منهجنا فيه لا يمكن أن يكون قياساً على منهج آخر ، وإنما يجب أن نجد نحن له هذا المنهج ، لا نتقيد بشىء ، إلا بشىء واحد . . . ذلك أن يكون هذا المنهج أقرب ما يكون إلى تحقيق النتائج التى نريدها من هذه الدراسة والغايات التى نرقبها منها . . .
وتتمثل هذه الغايات فى إغناء دراستنا للأدب المعاصر ومدّنا بما لم تستطع أن تمدنا به طرائقنا المتبعة فى دراسة رجاله وتياراته وفنونه. .هذا أولاً ، والتأريخ لهذه الصحافة الأدبية ثانياً .

غير أن التأريخ لهذه الصحافة من حيث هو تأريخ لن يكون هدفنا الأول ولا المباشر ، وإنما سنظفر به فى خلال عرض هذه المجلات . . إن الغرض

الأول والمباشر سيكون استثمار هذه الدراسة للمعلومات الأدبية التى تتيحها لنا ، للجزئيات التى توقفنا عليها ، للملاحظات التى تلتقى بها بين أيدينا ونحن نشهد تشكل هذا الأدب وتتابع نموه فى هذه المجلات أسبوعا بعد أسبوع أو شهراً بعد شهر . . . أما التأريخ للمجلات نفسها فهو ، كما رأيتم ، يمكن أن يكون فرعاً من تاريخ الادب المعاصر لم يعن به الدارسون حتى اليوم ولكنهم جديرون أن يلتفتوا إليه ويفكروا فيه وأن يفسحوا له مجالاً من اهتمامهم ، ومع ذلك فسنصيب نحن ، فى طريقنا ، قدراً صالحاً منه .

إن عملنا من هذا النحو يشبه ما نفعله فى دراسة الأدب فى عصر من العصور . . فنحن قد ننظر فى شعراء هذا العصر ندرس آثارهم ، ونستجلى ملامحهم ، ونتبين أساليبهم ، ثم يكون من شأن هذه الدراسة فى جملتها أن تكون تاريخاً لهذا العصر .

كذلك نحن هنا ان نؤرخ لظهور المجلات واحدة بعد واحدة ، غير أننا سندرسها وستكون دراستنا لها ، فى جملتها ، لوناً من التأريخ لها .

وإذا كان هذا هوالذى نريده فما هو المنهج الذى يحسن بنا أن نصطنعه فى هذا السبيل ؟ .

قلت إننا أحرار فى وضع هذا المنهج من نحو وإننا مقيدون بالغايات التى نريدها من نحو آخر . . ويجب أن أضيف إلى هذا الذى قلته أن المجلات كثيرة ومتخالفة ، وقد يكون لكل منها أن يفرض علينا منهجاً معيناً يفيد فيه ولا يجدى فى غيره . . مثلنا هنا كذلك مثلنا فى دراسة الشعراء . . فكأن كل مجلة تشبه أن تكون شاعراً أو أديباً فى عصر من العصور ، وفى وسع الباحث أن يصطنع منهجا واحداً يمضى فيه فى دراسة هؤلاء الشعراء ، وقد يخالف بين منهج وآخر تبعاً لطبيعة الشاعر ، غير أن هذا كله لا يمنع من أن نجد منهجاً مرناً ذا طابع كلى ، يتسع لشىء من تفسير أو تبديل ، أو لشىء من زيادة أو حذف .

وقد عرضت هذا العام كثرة من المجلات عرضاً عاما ، فى محاولة تعرف أولىّ تشبه أن تكون هذه الطوفة الأولى التى تطوف بها فى مدينة كبيرة أول زيارتك لها . . ووقفت عند مجلتين اثنتين من مجلات الاقليم السورى وقفة طويلة ، وخلصت من ذلك، بعد كثير من المحاولات ، إلى هذا المنهج التالى الذى تلمحون فيه طابعه الكلى حرصاً منى على أن أتيح مجالاً واسعاً لما يكون من خطوط جزئية فى دراسة كل مجلة لوحدها .

هذا المنهج ينظر إلى النواحى الثلاث التالية :

١ — الشكل : التعريف العام بالمجلة ، اسمها ، حيزها من الزمان فى تتابعها وانقطاعها ، أبرز الأحداث التى مرت بها .

٢ — المضمون : ابرز الموضوعات التى تتناولها ، والخط العام الذى ينتظم هـــذه الموضوعات ، عرض أهم هذه المقالات ذات الأثر فى الحياة الأدبية .

٣ — الطوابع : استصفاء الطوابع العامة التى تميزها ، والتعرف المباشر إليها عن طريق الدراسة ، والتأكيد على هذه الطوابع من نحو غير مباشر عن طريق مقارنتها بغيرها من المجلات التى عاصرتها .

وواضح أن هذه النواحى الثلاث لا تلزمنا دائما وإن كانت تعيننا فى كثير من الأحايين على تنظيم دراستنا .. ذلك لأن هذه الدراسة تهدف إلى أن تعالج كذلك مثل هذه النقاط التالية وأن تجد الأجوبة عن الأسئلة المتصلة بها .

وأنا مورد بعض هذه النقاط والأسئلة لا على سبيل الحصر ، بل على سبيل الإثارة والإنارة

١ — الكتاب

من هم كتاب هذه المجلة ؟ من هم الكتاب الأصليون الذين يطبعون المجلة بروحهم ومن هم الكتاب الذين يردون على قلة ؟ ما الطوابع التى تميزهم وما الدعوة التى كانوا يحاولون التزامها ؟

من هم الكتاب الذين عرّفت بهم هذه المجلة وقدمتهم للناس ، ومن هم الذين نشأتهم وكان لها عليهم فضل التربية والتنمية ؟ هل فرضت عليهم طوابعها فانقادوا إليها ، أم أفادوا منها ثم تأبوا عليها ؟

هل كان فى المجلة كاتبات ، ومن كنّ وماذا عالجن ؟ وما مكانتهن فى المجلة وأثرهن فيها أو تأثرهن بها ؟.

ما هو دور أصحابها ، وهل كان أصحابها موالين لها أم كانوا موجهين وما هو دورهم فى هذا التوجيه ؟ أهو دور ثانوى أم رئيسى ؟ .

٢ — الموضوعات

ما هى أبرز موضوعات هذه المجلة وما هو الطابع الغالب عليها ؟ أهى مجلة تهتم بالأدب والنقد الأدبى أم باللغة والنقد اللغوى مثلا ؟. هل يشد هذه الموضوعات خيط رئيسى ، وما هو . هل هنالك موضوعات رئيسية مستمرة وموضوعات طارئة ؟ هل كان للأدب النسوى موضع خاص من عنايتها ؟

٣ — الفنون الأدبية المستحدثة

هل أضافت المجلة إلى موضوعات الأدب العربى شيئا جديداً ، وماهو ؟ ما هو أثرها فى الفنون الأدبية الجديدة ؟ ماذا كان موقفها من حركة القصة مثلا فى الأدب العربى ترجمة وتأليفا ؟ هل أسهمت فى هذه الحركة ومن أى ينابيع الثقافة كانت تنهل ؟ أعنيت بالثقافات الفنية الأخرى كالمسرح ، والموسيقى ، والسينما ، وما مظهر هذه العناية ؟ .

٤ — الآداب والثقافات الأجنبية

هل كان لهذه المجلة موقف خاص من الآداب والثقافات الأجنبية ، وما هو هذا الموقف ؟. هل ساعدت على الترجمة ، وما الذى عنيت بترجمته؟ هل أشاعت شيئاً من الثقافة الفكرية أو الثقافة الفنية الأجنبية ؟. مامدى عنايتها بقضايا الفكر الكبرى ومشكلات الفلسفة ؟ أى المذاهب التى أشاعتها

وهل كان لها من وراء ذلك غرض غير الغرض الثقافى الحر ؟ أكانت تخضع لتوجيه معين وتفكر فى تغليب نزعة معينة ؟ ما هى ألوان الثقافات التى دعت إليها ، أأخذت بالاتجاه اللاتينى أم بالاتجاه السكسونى ؟ أأخذت بالمفاهيم الشرقية أم بالمفاهيم الغربية ، وهل تركت المجال حراً طلقاً أمام الكتاب وأمام القراء ؟ وما الذى يسيرها فى ذلك كله ؟ .

٥ — الأهداف الفكرية

هل كان لهذه المجلة فكرة معينة قامت على أساس منها ، وما هى هذه الفكرة ؟ وإذا لم يكن هنالك فكرة معينة وإنما هى جملة من الأفكار الغامضة التى يودعها أصحاب المجلات مقدمات السنة الأولى ، فهل يمنع هذا المجلة من أن يكون قد غلب عليها تفكير معين ، وما هو هذا التفكير ؟ هل كان لها مثلاً فى مقولة الجديد والقديم رأى ، أين وقفت من هذا الصراع الفكرى ، وكيف نهجت القديم والجديد ، وإلى أى جانب دعت ، وكيف تمثلت دعوتها ؟ أكانت صريحة سافرة أم مستحيية مجلببة ؟ وما الذى كان يضطرها إلى التقية وما الذى كان يشجعها على السفور والمصارحة ؟ .

هل أفسحت مجالاً للروح الأدبية أم عملت على إشاعة الروح العلمية ... وماذا كان سبيلها فى ذلك كله ؟ ما هو الأثر الذى تركته وهل هنالك من قفى أثرها وتابع خطتها .

٦ — الناحية الاجتماعية

هل كان لهذه المجلة فى الحياة الاجتماعية نصيب ، وما الذى كانت تهدف إليه فى هذا النحو ؟ . أكان لها فى الإصلاح الاجتماعى رأى وما هو هذا الرأى وكيف دعت إليه ؟ . أكانت تنتهج أسلوب التطوير والتبشير أم كانت تنهج أسلوب الخصومة والثورة ؟ ما هو السلوك الذى كان يضبطها ، ومن هم الذين حملوا اللواء فيها فى هذا الاتجاه أو ذاك ؟ .

وبصورة خاصة تبدو المسألة الاجتماعية فى مظهرين : السياسة والمرأة ،

فاذا كان من دور هذه المجلات فى الحياة السياسية والحركات الوطنية ؟ أكان لها دعوة معينة تلتزمها ومذهب ترتبط به أم كانت بعيدة عن التيارات والمذاهب السياسية ، فى الحياة الداخلية وفى الحياة الخارجية ؟ . أكان هنالك ظروف معينة حدّت من تفكيرها السياسى أم كان ذلك السلوك عن طواعية ورضى ؟ . وهل نستطيع أن نتلمس أثرها فى الفكر السياسى المعاصر ، وأين نجد هذا الأثر ؟ .

وفى قضية المرأة التى استبدت باهتمام الفكر العربى فى فترة النهضة ، ماذا كان موقف المجلة ؟ . إلى أى شىء دعت وما الذى آثرت من رأى ؟ . أكانت فى صف الذين آثروا لها طبيعتها ، أم فى الصف الآخر ؟ وكيف فهمت قضية المرأة ومضت فيها ؟ .

ومن نحو آخر ، هل أفسحت المجلة صدرها للمنشئات من الأديبات ؟ وهل أفردت الأدب النسوى بشىء من الرعاية الخاصة ؟ ومن اللاتى وجدن من الكاتبات والشاعرات ، المجال الرحب فيها . ؟

وأخيراً ، ما هى صلة المجلة بالطبقات الحاكمة وبالأحزاب القائمة وما مدى تأثرها ، بذلك فى آرائها ودعوتها .

٧ — الأسلوب

ما هو الأسلوب الذى كان يغلب على هذه المجلة ؟ أكانت أقرب إلى المحافظة فى الأسلوب أم إلى التجديد ، وإلى أى مدى كان ذلك ؟ أكان هنالك خط واحد ينتظم أسلوبها أم كان هذا الخط متماوجا يختلف مع الكتاب ومع الموضوعات ؟ . أكان يطبعها المحافظة على اللغة والتشدد فى أمرها أم كان يغلب عليها التساهل والتسامح ، وما مدى ذلك ؟ . أكان لها عمل فى تطوير الأساليب وتجديدها وتذليل اللغة وتيسيرها أم لم يكن لها مثل هذا التأثير ؟ أين تقع من سلسلة الأساليب العربية ؟ هل كان لها رأى خاص فى اللغة

العربية ، فى استعمالها وكتابتها وأحرفها؟ هل كانت تحمل لواء مدرسة معينة فى الأسلوب؟ هل كان فيها طبقات من الكتاب ومدارس من الأساليب ومن الذى يمثل ذلك كله فيها؟

٨ — التقويم العام

ولا بد لنا أخيراً من تقويم عام ، بعد هذه النظرات الجزئية ، نتساءل معه عن الرصيد الذى أضافته هذه المجلة والتقدير العام الذى نستطيع أن نمنحه لها . أين تقع من سلسلة المجلات العربية وما هو الخط الذى تستقل أو تشارك به فى تطور المجلة العربية وتقدمها ؟.

كل هذه الأسئلة وكثير غيرها يملأ على الباحث فى الصحافة الأدبية دربه ، ويملأ عليه كذلك تفكيره .. انها تطالعه فى كل بحث ، وتتبدى له فى كل مقال ، وتنوس بين عينيه فى حركة متصلة كلما حاول أن يدرك مكانة مجلة من المجلات وأن يتبين اثرها فى تكوين هذا الأدب المعاصر .. إنه مضطر أن ينظر فيها ، هذه المجلات ، من هذه النواحى كلها وان يعرضها على هذه الأسئلة كلها محاولاً أن يجد الجواب ، كما يعرض الكيميائى جسماً مركباً على عدد من الكواشف يريد أن يتبين تركيبه ويتعرف جزئياته ... إن دراستنا للمجلات فيما رأينا دراسة غرضها معرفة البيئة المعنوية التى نشأ فيها هذا الأدب المعاصر أولاً ، وإعادة تكوين هذا الأدب من جديد فى أذهاننا وتاريخه من هذا النحو ثانياً ، وتكوين خط عريض يستطيع أن ينتظم تاريخ هذه المجلات . ومن أجل هذا فنحن مضطرون أن نقلب هذه الكتلة الأدبية على وجوهها كلها لنتعرف كل هذه الوجوه .

* * *

بعد هذا أحب أن أقول لكم شيئاً أحسب أنه يتلجلج فى صدوركم . إن هذه الأسئلة المختلفة الكثيرة التى طرحتها تقوم على افتراض أن للمجلات

الأدبية هدفاً واضحاً، وأن لها رسالة متميزة، وأن لها لغة وأسلوباً خاصين بها، وأن لها في موضوعاتها المتكاثرة الخط الذي ينتظم كل هذه الموضوعات، فهل هذا الافتراض صحيح كله؟ هل صحيح أن المجلات مثل هـــذه الروح المتصلة، وهذا اللون الثابت، وهذا الصدى الذي نحسه متآلفاً متقارباً في كل سنواتها وأعدادها؟.

الذي أذهب إليه - بعد الذي عرضت من مجلات - أن أجيب بالإيجاب، فالمجلة فيما رأينا مؤسسة من مؤسسات الفكر .. ومن العسير أن نذهب إلى القول بأنها خلو من هذا الطابع المميز في الفكر أو اللغة والأسلوب.

ا — في الفكر، إنما يشككنا في ثبات خط المجلة ما يتساقط في أسماعنا من انحرافات بعض حملة الأقلام عن أمانة القلم الذي أقسم الله به.. وقد يشككنا أننا نجد بين تحرير المجلة وبين تمويلها خلاف .. ولكننا في الواقع يجب أن لا نبالغ في بعض هذه العيوب أو الانحرافات التي وقعت في سير بعض الصحف الأدبية، وأن لا نجعل من هذا الانحراف فكرة ثابتة في أذهاننا... فالأصل في هذه المجلات الأدبية أنها قامت من أجل فكرة . . أو هي على الأقل استطاعت، بعد قيامها، أن تتجه في اتجاه فكري مميز. ومن المؤكد أن ليس كل الذين أنشأوا مجلاتهم كانوا على بينة واضحة من سيرهم الذي ينتوون، ولكن من المؤكد أيضاً أن هذه المجلات بعد ذلك أضحى لها طابع فكري مميز ملازم لا تستطيع أن تستغنى عنه.. وقد لا يكون هذا الطابع المميز محدداً في بنود، ومركزاً في جمل، وموضحاً في تعاريف، ولكنه موجود على كل حال يحسه كل الذين يواكبون سير هذه المجلة أو يعاصرونها. وفي الفترة التي كانت تصدر فيها مجلات الرسالة والثقافة والكتاب والكاتب في القاهرة كنا نحس هذا الاتجاه الخاص لكل منها، وكان من

اليسير أن يعرض علينا مقال ما من المقالات فنتبين موقعه فى هذه المجلة أو تلك .

ب — وفى اللغة والأسلوب يبدو أن الاعتراض أقوى . فهل يمكن أن ينتظم المجلة التى يسهم فيها عدد كبير من الكتاب لغة واحدة وأسلوب واحد ؟. إنه اعتراض حق ، ولكنه حق حين ينظر فى التفاصيل والأجزاء ويقف عندها .. أما حين يتناول المجلة ككل فإن الاعتراض يضعف ويهى ، لأن من الواضح أننا إذا كنا نجد الصعوبة فى الحكم على أسلوب مجلة معينة بسبب من كثرة الكتاب فيها ، فان من اليسير أن نلاحظ ان الأقلام المختلفة الاساليب فى هذه المجلة تتلاقى بعد ذلك وتتقارب ، وان مسافة الخلف بينها تضيق وتنكمش ، ويبقى لها بعد ذلك خط واحد كبير يمكن ان يفسر لغتها ويبين عن أسلوبها .. اننا نفترض ، محقين ، ان ثمة تجمعاً عفوياً يلتقى فيه الكتاب ذوو الاتجاه اللغوى الواحد أو الاسلوب الواحد — بالمعنى الكبير لكلمة الأسلوب — فى مجلة معينة، فيكونون هم روح هذه المجلة ، ويكون من تركيب أساليبهم ولغاتهم وتفكيرهم أسلوبها العام ولغتها وتفكيرها .

إننا نقلب مجلة المجمع العلمى العربى فنحس هذه الروح الاسلوبية التى توشك أن تنتظمها فى أسلوب التفكير غالباً وفى أسلوب التعبير كثيراً .. ونقلب مجلة الكاتب المصرى فنحس كذلك هذه الوحدة الفكرية والاسلوبية — أحيانا — التى تغلب عليها ...

أليس لنا بعد هذا أن نقول مطمئنين إن لكل مجلة — رغم هذا التكثر — روحاً عامة فى الفكر واللغة والاسلوب ؟ وإذن فما أحرانا ان نحاول اكتشاف هذه الروح عن طريق دراسة هذه المجلات واستعراض تاريخها وتطورها.

القسم الثانى : نحو تطبيق عملى

ذلك هو المنهج الذى نريد ان نأخذ به فى هذه الدراسة .

وبقى أن أرسم لكم بعض حدود المنهج من نحو عملى . فما هى المجلات التى نريد أن ندرسها ؟ ما مفهوم الأدب الذى نستبقى فى ضوئه مجلة ونستبعد مجلة أخرى ؟ ما حيّز هذه الدراسة من الزمان وما حيزها من المكان ؟ . وهل سنمضى وفق تسلسل الزمن أم إننا سنضطر إلى الانحراف عنه مع التنبيه إليه ؟ .

١ — كيف نختار المجلة الأدبية

أظن أننا لسنا فى حاجة إلى تحديد مفهوم الأدب لفهم المجلة الأدبية . لسنا فى حاجة إلى خوض معركة نظرية فى هذا الموضوع ما دام من اليسير علينا أن نعرف المجلة الادبية بسماتها العامة . إننا لا نريد أن نفهم الادب بمعناه الضيق الخاص : معنى الادب الإنشائى الصرف ، ولا معنى الدراسة الادبية ، ولا نريد كذلك أن نفهم الادب بمعناه العام من حيث أنه مجموعة هذه الدراسات الإنسانية والفكرية .. وإنما نريد أن نستعين هنا ، بالمفهوم المعاكس : إن مجلة المقتطف ليست مجلة أدبية ونحن متفقون على ذلك .. إنها مجلة علمية وإن كنا نلقى فيها أحيانا جانباً أدبياً .. ومجلة الازهر كذلك ليست مجلة أدبية ، قد تكون تناولت الحياة الاجتماعية وقد تكون وقفت بعض صفحاتها على الحياة الادبية أو النقد اللغوى ، ولكن لها طابعاً خاصاً يميزها .. إنها يمكن أن تدرج فى نطاق المجلات الدينية .. ولكن مجلة الزهراء التى كان يصدرها الاستاذ محب الدين الخطيب مجلة أدبية لا شك فى ذلك .. إن مجلتى الميزان فى دمشق والحديث فى حلب مجلتان أدبيتان أيضا لاريب ، ولكن مجلة الحقائق التى صدرت ثلاث سنين فى دمشق كانت تعنى بالنواحى الاجتماعية وتغلّب الجانب الدينى ، فليس فى وسعنا أن ننظمها فى سلك المجلات

الأدبية .. إن مجلة علم النفس التى كان يصدرها الدكتور يوسف مراد تعرض للأدب ببعض معانيه أو من بعض مناحيه،وقد تفسر بعض الأعمال الأدبية، وقد تعنى علم النفس الادبى ، ولكن لها لونها الفلسفى الواضح الذى يدمغها.. ومثل مجلة الجامعة المصرية هل نستطيع أن نقول انها تدخـــل فى نطاق المجلات الادبية ؟ قد يكون فيها بعض الابحاث الادبية ، ولكن ليس لها طابع التخصص هـذا ، إن فيها طائفة كثيرة من الابحاث التى تتصل بالدراسات الإنسانية المختلفة ولذلك فلا يمكن ان تدخل فى نطاق اهتمامنا .. غير اننا متفقون جميعا على أن مجلة السياسة الاسبوعية والزهراء والكتاب والكاتب والرسالة والثقافة كلها من صميم المجلات الادبية .

كذلك نرى أننا نستطيع ، فى يسر ، أن نستبعد وأن نستبق دون أن نغرق فى تعريف الأدب ... فالمجلة الأدبية ذات سمات واضحة لا يمكن أن تغيب عنا .

٢ — الحيز المكانى

ولن نتناول الصحافة الأدبية فى كل أجزاء الوطن العربى ولكننا سنكتفى بهذه الصحافة التى صدرت فى نطاق الجمهورية العربية المتحدة أعنى فى نطاق مصر والشام ..ومن حسن الحظ أن بعض هـــذه المجلات كالمقتبس مثلا صدرت بعض السنوات هنا وبعضها هناك .

وقد يكون موضوعنا أتمّ لو أننا تناولنا المجلات التى تصدر فى لبنان كذلك ، ولعل إدارة المهدترى هذا الرأى فتضيف لبنان إلى نطاق هذه الدراسة ، وبذلك تتخذ كلمه الشام معناها الأصح العام .. وإنه لما يشجع على ذلك ويدعو إليه أن هنالك بعض المجلات التى كانت تصدر فصلا فى بيروت وفصلا فى القاهرة .

٣ — الحيز الزمانى

هـــذا من الحيز المكانى ، أما عن الحيز الزمانى فسنحرص على أن نتناول المجلات الأدبية منذ أول العهد لصدورها ، منذ عرفت الشام ومصر هذا اللون من العمل الفكرى.. وأرجو أن نجد المجاميع التى تكفل لنا هذه الدراسة ، فى هذا الاستقصاء والتتبع ، كاملة .

هذا ، وقد يبدو أن من الخير لهذه الدراسة ومن تمام فائدتها أن نمضى فى تتبع هذه المجلات وفاق زمن صدورها وأن نحكم عامل الزمن فى رسم طريقها... غير أن ذلك سيضطرنا إلى أن نستنزف كثيراً من الجهد فيما لا كبير فائدة فيه. إننا لا نريد أن نؤرخ المجلات الأدبية - وإن كان ذلك ضمن غرضنا كما قلنا - بمقدار ما نريد أن نشهد تكون الأدب العربى المعاصر بمشكلاته ودراساته ، واتجاهاته وتياراته ، وكتبه وأشخاصه ، فى هذه المجلات، ونموه فى صحفها ، وبمقدار ما نريد أن نؤرخ لهذا الأدب من وجه جديد من هذه الزاوية. وعلى ذلك فلن يضيع العرض الزمنى فى هذه الدراسة ، ولكنه لن يكون الاصل فيها .

ذلك هو منهجنا فى هذا الدراسة وطريقتنا فيها .. وسنبدأ هذا العام إن شاء الله بدراسة مجلة واحدة دراسة تطبيقية : مجلة تصدر فى الاقليم السورى هى مجلة المجمع العلمى العربى .

وذلك ما أرجو أن يكون موضوع المحاضرات المقبلة .

المحاضرة الرابعة

مجلة المجمع العلمى العربى

تمهيد :

فى المحاضرات الثلاث السابقة حاولت أن أعرّف بهذا اللون من الدراسة الادبية ، وأن أؤصل منهجها . . وقد توقفت عند كثير من الملاحظ والآراء توقفاً متأنياً ، وأثرت طائفة من الأسئلة والاعتراضات متمهلاً ، وتعمدت شيئاً من البطء وكثيراً من الشرح قبل أن أبلغ هذا القسم التطبيقى .. لأنى أومن أن المرحلة الأولى من الدراسة ، وهى مرحلة التعريف والوصف والتنهيج ، يجب أن تتسم بهذه الأناة وتتميز بهذا التمهل ، حتى إذا بدأنا هذه المرحلة الثانية التطبيقية كان فى ذهننا الكثير الذى يجب أن نعلمه ، والكثير الذى يجب أن نفكر فيه وأن نستنبطه .

هذا إلى أن حداثة هذه الدراسة وجدّتها ، كما أبنت فى المحاضرات السابقة ، تفرض علينا بطبيعتها مثل هذه المحاولات المختلفة فى اللفت ، وهذه الأنواع من الإثارة والتنبيه .

وقد أضحى فى وسعنا اليوم ، بعد الذى تقدم من أمر ، أن نبدأ حديثنا عن مجلة من مجلات الإقليم السورى مثلت جانباً واسعاً من الحركة الأدبية ، تفرّدت بذلك حيناً ، وشاركها غيرها من المجلات حيناً آخر ، وبدأت حياتها الأدبية منذ حوالى أربعين سنة .. فكانت أسبق المجلات المتصلة المستمرة ، وتلك هى مجلة المجمع العلمى العربى .

القسم الاول - التعريف العام

١ — عن طريق التعريف بالمجمع

يعرف بهذه المجلة تعريفاً أولياً ، ويشى ببعض معالمها ، اسمها الذى أطلق عليها : مجلة المجمع العلمى العربى .

وقد تكونون فى حاجة إلى أن تتعرفوا تاريخ هذا المجمع ، ولكنى لا أجد من الوقت ما يساعد على ذلك . . . وحسبكم أن ترجعوا إلى كتاب صدر منذ ثلاث سنوات تقريباً عن المجمع العلمى اسمه تاريخ المجمع العلمى العربى ألفه الأستاذ أحمد الفتيح ، وسيضعكم هذا الكتاب أمام كثير من الحقائق التى لا تستطيعون الاستغناء عنها فى رصد الحياة الفكرية المعاصرة فى سورية بخاصة وفى الوطن العربى بعامة . وسيرسب فى أذهانكم من هذه الحقائق أن الوطن العربى خرج من الحرب العالمية الأولى وهو يظن أنه قريب من غاياته فى تكوين دولة عربية موحدة ، وأن هذا الشعور السياسى كان يلازمه ويوافقه شعور آخر ثقافى يتمثل فى إحياء اللغة العربية ، وبعث التراث العربى ، وتأكيد النهضة العربية فى كل مجالات الحياة . . وأنه من أثر هذا الشعور القوى الجامح الذى كان يستبد بالناس ، ومن أجل تحقيق ما كان يبشر به ويدعو إليه ، نشأت فكرة المجمع العلمى العربى .

ولعل الذى يبين لكم عن هذا التجاوب المتصل بين طرفى الفكرة القومية : الطرف السياسى من نحو والطرف الثقافى من نحو آخر ، أن ولادة المجمع كانت مقارنة لولادة الحكومة العربية الأولى فى دمشق برئاسة الملك فيصل الأول ، ومتوافقة معها عام ١٩١٨ .

وبدأ المجمع بداءة أولى ثم مضى يتطور بعد ذلك .. والمقطع التالى الذى كتبه المرحوم الأستاذ محمد كرد على فى تقرير رفعه سنة ١٩٢٢ إلى رئيس الحكومة السورية « رئيس الاتحاد السورى آنذاك السيد صبحى بركات الخالدى ، يكشف هذا التطور ويدل عليه :

« كان المجمع العلمى العربى يعرف لأول أمره بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف التى أسست على أثر تأليف الحكومة العربية فى أواخر خريف سنة ١٩١٨ ، ثم جعلت هذه الشعبة ديوان المعارف ، وعين هذا العاجز — أى كرد على — رئيساً لها فى ١٢ شباط « فبراير » ١٩١٩ موكولاً إليها النظر فى أمور المعارف والتأليف وتأسيس دار آثار والعناية بالمكاتب ولا سيما دار الكتب الظاهرية ، ثم انقلب هذا الديوان بأعضائه الثمانية ورئيسه إلى مجمع علمى فى ٨ حزيران « يونيو » ١٩١٩[1] ، وأخذ على نفسه النظر فى إصلاح اللغة ووضع ألفاظ للمستحدثات المصرية ، وتنقيح الكتب ، وإحياء المهم مما خلفه الأسلاف منها ، والتنشيط على التأليف والتعريب ... وبينا هو يشتغل بهذه الأعمال وإصلاح الكتب المدرسية العالية ومادونها ، المؤلف منها والمعرب ، ويهذب لغة الدواوين ويضع لها الكلمات الإدارية كما يضع للمدارس والمعلمين بعض المصطلحات العلمية الحديثة ويصحح أغلاط أرباب الأقلام ، صدر إليه الأمر بدعوى الضائقة المالية ، فى آخر تشرين الثانى « نوفبر » ١٩١٩ ، بصرف رئيسه وأعضائه الثمانية إلا عضوين فقط

---

(١) « لما تم الانقلاب العربى وتأسست على أثره الحكومة العربية السورية وشرعت فى ترتيب مصالحها وتدوين دواوينها رأت أن من أفضل وسائل الرقى العاملة على إنهاض البلاد أن ينشأ فيها مجمع علمى عربى يقتصر فى مساعيه على خدمة العلم واللغة العربية إذ لا يمكن أن ترقى بلاد من دون علم ينشر فيها كما لا يمكن أن يؤثر العلم أثره النافع من دون أن تكون لغة البلاد صالحة لنشره ، وقد عهدت برئاسة هذا المجمع إلى السيد محمد كرد على وكان أعضاؤه فى أول الأمر السادة : أمين سويد ، أنيس سلوم ، سعيد الكرمى ، عبد القادر المغربى ، عيسى اسكندر معلوف ، مترى قندلفت ، عز الدين آل علم الدين ، ثم انضم إليهم المرحوم الشيخ طاهر الجزائرى بعد عودته من الديار المصرية » مجلة المجمع ، المجلد الأول ص ٢

للاشراف على داري الكتب والآثار ، فبطلت حركته ، إلى أن عهد إلى هذا العاجز يوم ٧ أيلول « سبتمبر » ١٩٢٠ بوزارة المعارف فعاد المجمع إلى تنظيم جلساته ، ثم ضم إليه عضوين آخرين من أعضائه القدماء فأصبح أعضاؤه أربعة موظفين .

وكان أول عمل للمجمع لما عاد إلى نظامه أن أصدر مجلة المجمع العلمى العربى ، وقد ظهر منها حتى الآن مجلدان ، ينشر فيها أعماله وأعمال أعضائه العاملين والمراسلين والشرقيين ممن تخيرهم ليعاونوه ، بعد البحث الطويل ، فى الشام ومصر والعراق وتونس والجزائر ومراكش وأوربا وأميركا . . وهكذا يدأب المجمع فى خدمة العلم واللغة والآداب ويوسع دائرتها ويمهد الطريق أمام السوريين للاستفادة منها ليكون مرجعاً ثقة للكافة ، وهو يجيب على أسئلة ترد عليه من العلماء أو يعارض بعض الكتب التى يطبعها المستشرقون على ما فى دار الكتب العربية من الأمهات المخطوطة ، وبذلك يخدم الاسم السورى خاصة والعربى عامة ويتقايض علماء العرب مع المشتغلين بعلومهم من الافرنج ضروب المعارف والأفكار النافعة ، وللمجمع العلمى أعضاء موظفون وهم لجنته الإدارية وعددهم فى دمشق ثلاثة فقط ورئيس وله واحد وسبعون عضواً شرفيين[1] » .

وأنتم ترون من هذا الذى قرأته عليكم كيف كان المجمع ثم كيف مضى ، وأنتم ترون كذلك من خلال بعض المقاطع ملامح هذا المجمع ووجوه نشاطه ، ولعلكم تستبينون أنه لم يكن مجمعاً لغوياً فحسب ، شأن المجمع اللغوى هنا فى القاهرة ، وإن كانت اللغة جانباً أساسياً من جوانبه ، ولكنه يدأب كما يقول المرحوم الأستاذ كرد على فى خدمة العلم واللغة والآداب أو خدمة العلم واللغة كما يقول المقطع الذى أثبته فى الحاشية .

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد الثانى ص ٣٥٤ — ٣٥٨

وما أدرى إن كان الذين قالوا هذا يعنون العلم بمعنى Science وأغلب الظن أنهم لم يقصدوا إلى هذه المقابلة ، وإنما جاءت لفظة « العلمى » إلى المجمع من ترجمة كلمة Academie ، لأن الذين عملوا على إنشائه كان يعيش فى ذهنهم نموذج واقعى ممثل فى المجمع العلمى الفرنسى ، ويكشف عن ذلك هذه المقاطع من التقرير الذى كتبه المرحوم كرد على فقد جاء فيه :

« تعلمون ، أيدكم الله، أن أهم المجامع الأدبية فى جاهلية العرب سوق عكاظ ومربد البصرة ، وأهمها فى الإسلام المجمع الذى أنشأه أمير المؤمنين المأمون العباسى . . . أما فى حكومات الحضارة الحديثة فإن فرنسا كانت من السابقات فى إنشاء المجامع العلمية والأدبية . فأنشىء المجمع العلمى الفرنساوى فى باريز أوائل المائة السابعة عشرة للميلاد ، وكانت غايته تنقيح اللغة الفرنساوية والنظر فى نحوها وصرفها وشعرها ونقد كتابها وأدبائها ... ولم ينتقل أسلوب المجامع إلى الشرق من الغرب فى القرون الأخيرة إلا على عهد نابليون فإنه أسس أواخر القرن الثامن عشر فى مصر المجمع المصرى... ومجمعنا هذا يشبه ، ولا نكران للحق ، فى كثير من الوجوه المجمع الباريزى ، وعلى مثاله نسجنا ، وبمصباح نوره استضأنا ، فهو أثر من آثار الحضارة الفرنساوية ممزوج بشىء من تقاليدنا ، مراعى فيه منافع مدنيتنا وآداب لغتنا ، وكلما طال العهد عليه يتطور بتطور المجامع الغربية ولا سيما المجمع الباريزى ويطرس أعضاؤه على أثر أولئك الأقطاب فى الآداب من الأربعين المخلدين وذلك على مقياس مصغر الآن يتسع باتساع دائرة المعارف فى الأمة العربية(١و٢) » . . .

وإذن فقد كان المجمع الفرنسى مثالاً نسج عليه كما يقول المرحوم

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد الثانى ص ٣٥٣ — ٣٥٤

(٢) لهذه الجمل ، من حيث هى أسلوب فى التفكير والتعبير ، جو تاريخى معين لا يخطئه المرء حين يعرف الظروف السياسية لبلاد الشام فى ذلك الحين .

كرد علي ونوراً استضيء به .. ومن هذا المثال دخلت كلمة «العلمي» في تسمية المجمع العربي حين ترجمت كلمة Academie التي تعني مجتمعاً للتعليم والخطابة والمناقشة في كل شيء (١و٢)..

إن المقصود بالعلم هنا ، فيما يبدو ، إنما هو رعاية الحركة الأدبية والعلمية من حيث هي متصلة باللغة العربية ، ومن حيث هي متصلة بالأدب العربي والتراث العربي ، ومن حيث أن الحركة الأدبية والعلمية تؤدّى بهذه اللغة ويمكن أن تؤدي إلى اغناء اللغة واغناء التراث .

على أن المجمع إذا كان بعيداً عن العلوم Sciences فلم يكن بعيداً عن الناحية العلمية التي ظهرت في مناهج دراساته الأدبية واللغوية حيناً وفي عنايته بالمصطلحات العلمية حيناً آخر . إن الناحية العلمية بهذا المعنى ليست عنده مادة ، وإنما هي منهج وروح .

إذا عرفنا هذا القدر السريع الموجز عن المجمع العلمي العربي فقد مهدنا الطريق أمام معرفة مجلة المجمع . . فهذه المجلة ، في خطوطها العريضة ، انعكاس عملي مكتوب للمجمع في خطوط نشاطه العريضة .

٢ — عن طريق فواتح القول

هذا نحو من أنحاء التعرف إلى مجلة المجمع ، ومع ذلك فنحن نملك نحواً آخر لإغناء هذا التعرف . . فهنالك هذه المقدمات التي يكتبها صانعو المجلة بأنفسهم في صدر السنة الأولى من المجلة ، أو في صدور الأعداد

(١) أنظر مقالا بعنوان المجامع العلمية في العالم كتبه عيسى اسكندر المعلوف في المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي العربي ص ٩٧ — ١٠٠ و ١٤٧ — ١٥٤ .

(٢) سألت مدام بوج ويكسل أثناء البحث في تقرير فرنسا عن سورية ولبنان أيام عصبة الأمم في جنيف : هل في الإمكان الحصول على معلومات متممة بشأن المجمع العلمي العربي في دمشق . فأوضح مسيو دوكه مندوب فرنسا أمام تلك العصبة « إن المجمع العلمي العربي ليس معهد تعليم ، ولكنه مجمع بالمعنى المعروفة فيه هذه الكلمة في فرنسا ، ففيه يجتمع عدد من علماء اللغة العربية الذين يدرسون هذه اللغة وآثارها الأدبية » مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد السادس ص ٥٦٢

الأولى من السنوات التالية ، أو فى بعض التقارير التى كان يقدمها المجمع للسلطات المسؤولية عن نشاطه ، ، فماذا نجد فى هذا النحو ؟

لنبدأ بهذا الذى واجهت به المجلة الناس يوم ولادتها ذات نهار من مطالع عام ١٩٢١ وسنجد هذه الصفحة الموجزة التالية :

« بسم الله وبه الثقة .

فاتحة المقـال .

جرت عادة المجامع العلمية فى البلاد المتمدينة أن يكون لها مجلات خاصة بها ، تصدر فى أوقات معينة ، ينشر فيها ما يكتبه أعضاؤها ومراسلوها فى مواضيع العلوم والفنون المختلفة ، وما يلقى فى المجمع من المحاضرات على الجمهور من وقت إلى آخر ، وما يتجدد فى عالم العلم من الآراء والأفكار وضروب الاكتشاف والاختراع ، وخلاصة الأعمال التى قام بها المجمع أو هو فى صدد القيام بها ، وغير ذلك من الأخبار والشئون التى تلتحم بخطته ولا تخرج عن حدود وظيفته . وقد رأينا أن مجمعنا العلمى العربى فى حاجة إلى مثل هذه المجلة فأصدرناها بهذا الشكل ، وعلى هذا النمط الذى له من طبيعة الوقت وفقد العدد والوسائل شفيع فى تقصيره ، وعذر فى الاكتفاء بقليله عن كثيره . وإن لنا من مؤازرة الفضلاء والعلماء ما يذلل الصعاب أمام هـــذه المجلة ، ويرقى بها إلى ذروة كمالها ، واستتمام هلالها ، إن شاء الله تعالى .

أما الأبواب أو الأقسام التى يتركب منها كيان هذه المجلة فهى :

الأول : فى المقالات والمحاضرات ذات الموضوعات العلمية والفنية .

الثـانى : فى المراسلات التى ترد إلى إدارة المجلة من المراسلين والعلماء وأهل الفضل . ولا تقبل ما لم تكن من موضوعات المجلة .

الثالث : فى الأخبار والشؤون العلمية عامة .

الرابع : فى أعمال المجمع ومساعيه الداخلية الخاصة به » .

وأنتم تلاحظون أن مثل هذه التقدمة العامة يمكن أن تتجاوز بحكم هذه العمومية فيها ، ويمكن أن يتوقف عندها بحكم أنها منهاج للمجلة من نحو وصورة منبئة عن أبوابها المقبلة من نحو آخر . . . فأما عن الأبواب والأقسام ، فسأحدثكم فى فقرة مستقلة ، وأما عن البرنامج فلست الآن لأفصّل القول فيه ، ولست أحب أن أقول لكم إنه برنامج عريض هذا الذى يهدف إلى نشر ما يتجدد فى عالم العلم من الآراء والأفكار وضروب الاكتشاف والاختراع ، وإنه كلام عام هذا الذى نقرؤه عما ينشر وعما يتجدد وعما يعمل ، وإنه قد يكون طبيعياً أن يأتى الكلام على هذا النحو من التعميم فى صدور المجلات عندنا ... ولست أحب كذلك أن أقول إن المجلة ، من نحو عملى ، لم تستطع أن تساير الحديث عن الناحية العلمية فاقتصرت على الدراسات الإنسانية المتعلقة بالأدب واللغة وما إلى ذلك . . ولكنى أردت أن أطلعكم على الذى قاله أصحاب المجلة نفسها حين أرادوا أن يقدموها للناس لتروا هذا الذى كان يعتمل فى أذهانهم ويدور فى قلوبهم ، ولتجدوا صورة عن تطلع النفس العربية واهتماماتها فى هذه الفترة . . وسيساعدكم ذلك بعد على معرفة ما الذى مكّن الزمن من تحقيقه وما الذى وقف دونه ، وسيكون ذلك ذخراً لكم بين يدى حياتكم التى تقبلون عليها .

قريب من هذا الكلام نجده كذلك فى مقالات المجلة فى سنواتها الأولى . ففى آخر مقال كتبه صاحبه عن نشأة المجمع العلمى « المجلد الأول ص ٥ » نجد هذه الجملة : « وقد أصدر المجمع هذه المجلة باسم مجلة المجمع العلمى العربى لينشر فيها ما يجرى فيه وفى دوائره التابعة له من الأعمال والأبحاث العلمية »

وفى المنشور الذى وجهه المجمع إلى المجلات والمجامع « ص ٧

من المجلد الأول ، نجد : « وهو سيصدر مجلته باسم مجلة المجمع العلمي العربي ، شهرية مصورة ، ينشر فيها أعماله وأفكاره لتكون رابطة بينه وبين دور الكتب والآثار والمجامع العلمية وأمهات المجلات في الشرق والغرب » .

فإذا تجاوزنا السنة الأولى إلى السنة الثانية وجدنا شيئاً يشبه هـذا الكلام في فاتحة هذه السنة : « بسم الله وعليه الاعتماد . نستفتح من الله سبحانه باب التوفيق والإعانة ، ونفتتح العام الجديد بالحمد لجلاله على ماوفقنا إليه من إتمام السنة الأولى بالجهد المستطاع في خدمة الأمة والوطن واللغة ، مع ما اعترض في سبيلنا من عقبات التأسيس التي لابد لكل ابتداء منها . ولا سيما أن مجلتنا هي الأولى من نوعها في بلادنا ، وتخدم في مباحثها اللغة العربية وآدابها ، وتوثق عرى الارتباط وتبادل الأفكار بين علماء المشرقيات وعلمائنا والتراسل بين مجمعهم ومجمعنا » .

من هذا ومن كثير أمثاله نقع على هذه الخطوط الكبيرة في التعريف بالمجلة وهدفها : إنها بوجه عام ، تقليد من تقاليد المجامع ، تنشر مقالات ومحاضرات الأعضاء ، وتكون رابطة بينه وبين دور الكتب والآثار والمجامع العلمية وأمهات المجلات في الشرق والغرب .

لكأن المجلة ، بإيجاز ، هذه النافذة التي فتحها المجمع على الشرق والغرب ، على الماضي والحاضر في الحياة العربية .. وسنرى ماالذي سيكون لها من شأن .

٣ ــ عن طريق المجلات المعاصرة

في وسعنا كذلك أن نتعرف هذا التعرف الأولي إلى هذه المجلة من رصد بعض ردود الفعل التي بدت على أقلام الصحفيين والكتاب حين عرضوا للمجلة أو أشادوا بها . . . ونحن نجد أننا أمام مجموعتين من

الملاحظات : مجموعة من ملاحظات الكتاب المواطنين فى البلاد العربية ، ومجموعة أخرى من ملاحظات المستشرقين فى البلاد الأجنبية ، فما الذى رأى أولئك وهؤلاء فى هذه المجلة ؟ .

ا — أما الصحافة العربية فأحب أن نلاحظ أنها تحدثت عن المجمع بصورة خاصة بأكثر مما تحدثت عن المجلة نفسها . . وتجدون نبذاً من هذه الأحاديث فى الصفحات ١٥ — ٢٢ من المجلد الرابع والصفحات ٥٦٢ — ٥٦٤ من المجلد السادس ، والصفحات ٢٤ — ٢٧ من المجلد الثامن ، فقد كتب الأستاذ العقاد فى البلاغ المصرى « القاهرة » : « إن إخواننا فى دمشق سبقونا إلى إنشاء مجمعهم العلمى فنجحوا نجاحاً بعيداً . . نغبطهم عليه ونظننا أولى به وأحجى بالسبق فيه لما عندنا من وسائل العلم والمال والسياسة[1] » .

وكتبت جريدة وادى النيل بالاسكندرية : « وقد اغتبطنا بأعمال المجمع لما تنمّ عليه من النهضة الأدبية فى الشام ، وهى جزء مهم من الأسرة العربية العظيمة ، على أننا رجعنا إلى أنفسنا نسألها : وأين مصر من هذا المجد الأدبى الرفيع ؟ . »

وكتبت صحف ومجلات أخرى كالزمان « دمشق » والوطن « بيروت » وألف باء « دمشق » ومجلة الكلية « بيروت » وكثير غيرها لا أحب أن أتحدث عنه الآن وإنما أردت أن أدلكم عليه فى مكانه .

وستلاحظون فى كل هذا الذى كتب معانى التقدير من نحو ، والتمنى من نحو ، والإفادة من هذه الفرصة ، فى الصحف المصرية ، لحث الحكومة على تأسيس مثل هذا المجمع فى القاهرة .

ب — أما الدوائر الاستشراقية فى أوربا وأمريكا فحسبنا منها هذا المثال : كتب العلامة سنوك هروغروت من جامعة ليدن « واطلعت

(١) مجلة المجمع العلمى العربى، المجلد الرابع ص ٢٤

طلاب العلم من أهل بلادى على أعداد المجلة وبينت لهم أنها علامة إحياء العلوم الشرقية ومعجزة فى جنسهـــا مسكتة لمن ينكر استمرار التمدن العربى . . . ، ولقد كتب غيره كثيرون كذلك نجدون نبذاً من كتاباتهم فى فاتحة المجلدين الرابع والثامن . وقد نمر ببعضها فى مطاوى الأبحاث التالية .

٤ — صلة المجلة بالمجمع ، مقارنة

من هذه الزوايا المختلفة التى نظرنا منها إلى مجلة المجمع عرفنا ماهى هذه المجلة . . وأدركنا أنها مجلة المجمع العلمى العربى .

ولكن ذلك لا يعنى أنها تشبه مجلة المجمع اللغوى هنا من هذا الوجه ، فهناك وجه مفارقة لا بد من أن نشير إليه . . . فمجلة المجمع اللغوى هنا هى مجلة المجمع حقاً بأضيق معانى هذه الإضافة ، بمعنى أنها تنشر ضبوطه وتدون جلساته وتذكر ما ينتهى إليه من آراء ومقررات . . ولكن مجلة المجمع العلمى فى دمشق ليست مجلة المجمع بهذا المعنى . . فهى لا تنشر شيئاً من ضبوطه، وإن كانت تشير، فى معرض النشاط السنوى، إلى أعماله..وهى ليست قاصرة على أعضائه ، شأن مجلة المجمع هنا ، وإنما هى مفتوحة لكل الذين يسهمون فى الدراسات الأدبية واللغوية من الباحثين . . إنها تمثل النشاط الفكرى للمجمع ولأعضائه وللباحثين من حولهم ، وهى ملتقى أقلامهم ومنتدى آرائهم ، غير أنها ليست أبداً هذا الوجه الرسمى لهذا النشاط . . وما تورده المجلة أحياناً مما يتسم بهذه السمة الرسمية فهو إنما يرد لغرض آخر يتصل بالهدف الفكرى نفسه أكثر من اتصاله بالتسجيل الرسمى . . إننا نقع فى المجلة على تقارير الرئيس التى كان يرفعها إلى السلطات ، وهى تبدو للمتأمل فيها تأريخاً لنشاط المجمع ، وحثاً لهذه السلطات ، ودفعاً لها فى طريق تأييده ، وقد نجد ذكر بعض القوانين كقانون الآثار ، المجلد الثالث ص ٣٠٩ وما بعدها ، أو قانون تنظيم المجمع أو الجامعة

أو تأسيس المجمع اللغوى فى مصر ، وهى كلها جزء من الحركة الثقافية ...
ونصادف كل سنة قائمة بأسماء الأعضاء ، وصورهم فى بعض السنوات [١] ،
وذكر الراحلين منهم ، وهو عمل تنظيمى صرف ... أما ماعدا ذلك فليس
فى المجلة إلا الأبحاث والدراسات والمقالات والتعريفات التى أسهم فيها
الأعضاء ، والأعضاء المراسلون .

إن هذا يوضح لنا ما معنى أن المجلة مجلة المجمع العلمى العربى ،
ويفرق بينها فى ذلك وبين مجلة مجمع اللغة هنا . . فمجلة المجمع فى القاهرة
هى مجلة جلسات المجمع ، بينما تختفى الجلسات [٢] تقريبا فى مجلة المجمع
فى دمشق ليظهر نشاط الأعضاء فى دراساتهم وبحوثهم .

القسم الثانى ـ المعالم والسمات الخاصة

١ — الحيز الزمانى

منذ ثمان وثلاثين سنة ، أوائل كانون الثانى « يناير » من عام ١٩٢١
صدر العدد الأول من مجلة المجمع . . وتتابع صدورها بعد ذلك،غير أنها
تعرضت لفترتى انقطاع :

فى الفترة الأولى توقف صدورها أربعة وعشرين شهرا ، من أول
أيار « مايو » ١٩٣٣ « المجلد الثالث عشر » إلى آخر نيسان « ابريل »
١٩٣٥ حيث أعيد تنظيم المجمع خلال هذه الفترة . وعلى ذلك يتضمن
المجلد الثالث عشر أربعة أعداد من سنة ١٩٣٣ وثمانية أعداد من سنة
١٩٣٥ تقع متممة للأربعة الأولى فى إكمال المجلد الثالث عشر،الذى أضحى
يشغل السنوات ٣٣ — ٣٥ .

فى الفترة الثانية توقف صدور المجلة بعد انتهاء المجلد الخامس عشر

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد الحادى عشر .
(٢) تنشر المجلة أحيانا بعض الجلسات انظر مثلا م ١٣ ص ٣١٦ ، ٤٠٢ .

ثلاث سنوات هى سنوات ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، واستأنفت نشاطها فى سنة ١٩٤١ بالمجلد السادس عشر .

وأنجزت المجلة حتى الآن ثلاثة وثلاثين مجلدا خلال ثمان وثلاثين سنة وهى ،عامها هذا ،فى منتصف المجلد الرابع والثلاثين وفى الثامنة والثلاثين من عمرها المديد .

ا — أما لِمَ كانت فترتا التوقف فأنا لا أحب أن أخوض فى هذا الموضوع لأن بعضه يتصل بتاريخ المجمع ، وحسبكم أن تلاحظوا أننا بعد فترة التوقف الأولى نشاهد غياب المرحوم الرئيس كرد على ليحل محله فى رئاسة المجمع المرحوم الأستاذ المغربى وليتولى أمانة السر الأستاذ عز الدين التنوخى ، ونجد فى فاتحة الجزئين الخامس والسادس من المجلد الثالث عشر هذه الكلمات :

«وبين التاريخين ـ يريد تاريخى الانقطاع والاتصال ـ أربعة وعشرون شهراً انقضت فى إشفاق على المجمع لا ينسى ، وشوق إلى مجلته لا يحصى ، وسعى فى حياطته لا ينفد ، واهتمام بشأنه من ولاة الأمور لا ينكر ، بل يحمد ويشكر ، حتى تم لهم ما أرادوا من تثبيته وتعديل فى بعض أوضاعه وتنظيم ميزانية تكفل له ، على قلتها ، بقاءه ودوام الانتفاع به ريثما يتسنى لهم توفير المال المخصص له وتوسيع دائرة عمله بإضافة آخرين إلى موظفيه العاملين ، وكان مما ارتأته الحكومة أن عهدت اليوم برئاسة المجمع إلى كاتب هذه السطور « المغربى » وبكتابة سره إلى الأستاذ عز الدين علم الدين أحد أعضائه المؤسسين ، كما أنها فى خلال هذه المدة ألفت لجنة لاستقراء « جرد » ما فى الدار الظاهرية ودار المجمع من الكتب والاسفار . . وهكذا عاد العمل فى المجمع ودار الكتب إلى سابق عهده ، ووجهة قصده ، وراجع نفوس محبيهما شيء يقال له الاطمئنان .. وكأن ما قد كان لم يكن » .

ب — أما الفترة الثانية فالظن أن رياح الحرب العالمية حاولت أن تأتى على هذه الشعلة المتقدة ، فحالت بينها وبين الاتقاد هذه السنوات الثلاث .

وفى ذلك أو بعضه كتب المرحوم الأستاذ كرد على فى فاتحة المجلد السادس عشر بعد الانقطاع هذه المقاطع الرائعة بعنوان « العودة » :

«تعود مجلة المجمع العلمى العربى إلى الظهور بعد احتجابها بضع سنين كان السبب الأول فيه نقص مواردها ، ويسرها اليوم أن ترجع إلى اتصالها بقرائها على ما كانت خلال الخمس عشرة سنة التى طالعتهم فيها بأبحاثها ،

« يعود المجمع العلمى العربى إلى مزاولة أعماله وسط زعازع هذه الحرب الناشبة وكله أمل أن يُظل السلام العالم فيتصل بأعضائه فى الغرب والشرق ، ويعود الذين حيل بيننا وبينهم الآن إلى إفادتنا من دراساتهم ،

« يحتاج العلم إلى الهدوء والاستقرار ، فإذا متع حفدته بذرو منهما وجب عليهم ألا يتوقفوا عن بذل الجهد فيما تمحضوا له . ألسنا قد قرأنا فى صحف الأقدمين أن بعض المؤلفين من أجدادنا كانوا يصنفون كتبهم والعدو يحاصر مدينتهم ، وبعضهم أنجز تأليفه والعرادات والدبابات تتعاور ضرب أسوار قلعتهم ، ما نام هول الوغى عن نفع قومهم بثمرات عقولهم ، ووجدوا فى العمل سلوى ، وفى بث الفكر واجباً يوفونه . والاضطرابات كالمصائب طبيعية الحدوث فى هـــذا العالم ، وما عهد أن صفت الدنيا لأبنائها صفاء تاما . . »

ترى من الذين كانوا يثبطون العزم على إصدار المجلة ؟ وما نقص الموارد هذا الذى أشار إليه ؟ أهما علتان أم هما علة واحدة ؟ .

٢ — الاستمرار

وكذلك ترون أن المجلة تتسم ، رغم هاتين الفترتين ، بطابع الاستمرار ... والذين يعرفون كيف كانت سورية فى كل هـــذه الفترة تعانى ، قبل الاستقلال ، الكثير من ويلات الانتداب ، وتحيا حياة لحمتها الدم وسداها النار ، وتتوالى فيها الثورات فى جبال الزاوية والعلويين وحوران والدروز ، وفى أرباض المدن فى غوطة دمشق وسهول حمص وحماة ودير الزور ، وتملؤها الاضرابات والتظاهرات ، وتشلّ فيها حركة التعليم وحركة التجارة

والصناعة .. الذين يعرفون كيف كان الوطن السوري يُشوى على النار يستطيعون أن يدركوا قيمة استمرار المجلة ،وبخاصة حين يعرفون أن مجلةً ما في دمشق وغيرها - باستثناء مجلة الحديث في حلب — لم تزد حياتها على ثلاث سنوات ، وأكثرها لم يتجاوز السنة الواحدة .. كانت الضائقة الاقتصادية ، أوالمضايقات الفرنسية ، أو التطور الفكري العنيف يؤودها حتى يقتلها .. لكن مجلة المجمع استطاعت أن تنأى عن ذلك بالذي كان لأعضاء المجمع من منزلة والذي كان لرئيسها ، قبل ، من كلمة ونفوذ معاً . وعلى أن المجلة مرت بسنوات الثورة الوطنية الشعواء ١٩٢٥ — ١٦٢٦ ، حين كان الناس مهددين في بيوتهم وعملهم وحين قصفت الشام هذا القصف المروع الذي ذهب بأجمل أحيائها وأحلى تراثها المعماري - على ذلك لم تتوقف المجلة في سنوات الثورة وإن كانت توقفت في بعض سنوات الحرب .

لقد لفتت هذه الظاهرة أحد المستشرقين فكتب العلامة ماكدونالد الأمريكي يقول : « لقد أحييتم سنة الجمعية الآسياوية الباريزية أيام كانت تثابر على إصدار مجلتها وباريز محصورة[1] » . وكتب العلامة الأمير شكيب أرسلان : « إن بناية المجمع المعنوية كالمادية متينة ركينة بحيث ثبتت على كل هذه النوازل ، ولم تبال بكل هذه العواصف [1] » .

٣ — حجم المجلة ومواعيد صدورها

في السنوات العشر الأولى كانت تصدر المجلة شهرية ، عدداً في كل شهر . غير أنها كانت تضطر أحيانا في السنوات التالية أن تصدر عددين في آن معاً .. وانتهى بها الأمر منذ ١٩٤٨ « المجلد الثالث والعشرين » إلى أن تصدر فصلية ، أربع مرات أو أربعة أجزاء في السنة ، مرة أو عدداً في كل ثلاثة شهور ، وهي تمضي الآن وفاق هذا التنظيم .

وفي السنوات الثلاث الأولى كان العدد الواحد يظهر في ٣٢ صفحة

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد السادس ، ص ٥٦٤

(٣٨٤ سنويا) وفى السنة الرابعة ١٩٢٤ ارتفع عدد الصفحات إلى ٤٨ (٥٨٠ سنويا) وفى السنة الثامنة ١٩٢٨ ، مع أول المجلد الثامن ، أخذت تصدر فى ٦٤ صفحة (حوالى ٧٨٠ سنويا) . وعادت فى المجلد الثالث عشر ، سنة عانت أول انقطاع، إلى ٦٠٥ صفحات ، وتضاءلت فى المجلد الرابع عشر سنة ١٩٣٦ إلى ٤٨٠ صفحة ، وإلى ٥٠٠ فى السنة التى تلتها . فلما عادت بعد انقطاع السنوات الثلاث ٣٨ ـ ٤٠ فى أول العام ١٩٤١ ، صدرت فى ٥٨٨ صفحة واستمرت حول ذلك (٥٧٦) فى الأعوام ٤٢ ـ ٤٧ ، وفى عام ٩٤٨ « المجلد الثالث والعشرين » أخذت تصدر أربعة أجزاء كل جزء فى ١٦٠ صفحة (٦٤٠ سنوياً) . ومضت كذلك حتى إذا كان العام ١٩٥٣ « المجلد الثامن والعشرين » زادت صفحاتها إلى (٧٠٠) ولا تزال على ذلك .

٤ ـ أبواب المجلة وأقسامها

حين قرأنا فاتحة السنة الأولى وجدناهم يقولون فى تقديم المجلة ، إن كيان المجلة قائم على الأبواب والأقسام التالية : المحاضرات والمقالات ذات الموضوعات العلمية والفنية ـ المراسلات ـ الأخبار والشؤون العلمية عامة ـ أعمال المجمع ومساعيه .

وواضح أن هذه الأبواب والأقسام الأربعة لم تلتزم فى تقسيم المجلة وتجزئة صفحاتها ومراعاة عناوينها ، وإن كان جملة ما نشر فيها لا يجاوزه أو لا يكاد .

والحق أننا نجد فى استعراض السنوات الأولى ، إلى جانب المقالات والمحاضرات ، كثيراً من العناوين التى تضم شتاتاً من الأنباء أو الأخبار أو الكتب أو الأعمال مثل « مقتنيات المجمع ، بعض أعمال المجمع ، المطبوعات الجديدة ، آثار وأخبار ، آراء وأفكار » وكانت هذه العناوين تظهر وتختفى ، وتزداد وتنقص ، ويفسخ بعضها بعضاً حتى انتهت المجلة منذ سنة

١٩٤٢ ، المجلد السابع عشر ، فى كيانها العام إلى الأقسام الثلاثة التالية التى تُراعى الآن مراعاة تامة فى ترتيب المواد وفهرسة الجزء :

١ — المقالات والأبحاث .

٢ — مخطوطات ومطبوعات (تحول هذا العنوان إلى التعريف والنقد مع المجلد الرابع والعشرين ١٩٤٩)

٣ — آراء وأنباء .

فأما القسم الأول فنجد فيه ما يكتبه أعضاء المجمع العاملون والمراسلون وما يبعث به الباحثون والدارسون فى الموضوعات المتصلة بالمجلة .

وأما القسم الثانى فعرض للكتب الجديدة وتعريف بها ونقد لها ، ويلتقى فى هذا الباب عدد كبير من الكتاب ، وتطالعك فيه جملة صالحة من أسماء الكتب التى تهدى إلى المجمع من أطراف الأرض .

وأما القسم الثالث فيخيل إليك ، للوهلة الأولى ، أنه مثير جديد وأنه خروج عن نطاق المجلة ، لأنه قد يعرض لك نبأ من هنا ورأياً من هناك ... ولكنك لا تكاد توغل فيه حتى تجـــد أنك فى مثل الذى كنت فيه فى القسمين السابقين .. . إنه متصل بهما أشد اتصال ، فالآراء أدبية أو لغوية،والأنباء كذلك لا تجاوز أنباء اللغة والأدب أولا تكاد .. وليس فى الباب كله ما يخرج بك عن هذا النطاق العام للمجلة .. وكل ما يميزه أنك هناك فى الطول وهنا فى الاختصار، هناك فى البحث وهنا فى التعليق ، هناك فى التحقيقات المسهبة وهنا فى الشذرات الموجزة .

* * *

وعلى ذلك فأنتم تلاحظون أن هذا التقسيم ، على أهميته ، متداخل وما أكثر ما نجد فى باب الآراء والأنباء تعريفاً ونقداً لبعض الكتب أو لبعض المقالات . . إن غرض هذا التقسيم فيما يبدو لا يخرج عن أن

يكون غرضاً تنظيمياً، ولكن عناوينه الكبرى لا تملك أن تسيطر على مجموعة الزاد الفكري في المجلة سيطرة كاملة .

قلت إن هذا التقسيم يُراعى مراعاة تامة في ترتيب المواد وفهرسة الجزء، ولست أحتاج أن استدرك فأقول إن هذه المراعاة تنخرم في بعض الظروف الخاصة، كأن تخصص المجلة عدداً من أعدادها لظاهرة أو مؤتمر كما فعلت في أحد أعداد المجلد ٣٢ إذ حلّ فيه محل القسم الأول والثاني أعمال محاضرات مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية الذي عقد في دمشق في أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٥٦ .

وبعد ، أترون أن هذا التعريف الذي سقته إليكم في هذه المحاضرة يجزىء في تمثل المجلة تمثلاً أولياً ؟ . حسبنا هذا القدر في هذه الساعة ، وإذا كنا وقفنا اليوم عند الشكل فسنجوزه غداً إن شاء الله إلى المضمون وسنتحدث في المحاضرات المقبلة ، بعون من الله ، عن موضوعات المجلة وعن اتجاهاتها وطوابعها وتأثيراتها .

المحاضرتان الخامسة والسادسة :

موضوعات مجلة المجمع العلمي العربي
تقسيمها وتصنيفها ـ الدراسات اللغوية

القسم الأول : تصنيف الموضوعات

ماذا نجد في مجلة المجمع العلمي حين نعرض أعدادها في هذه السنوات الكثيرة التي تجرها وراءها منذ صدرت عام ١٩٢١ ؟ ماهي الموضوعات التي تطرقها والأبحاث التي تتناولها ؟ في أيّ ساحات العمل الثقافي يلتقي كتابها سواء أكانوا من أعضاء المجمع في الشرق والغرب أم من غير أعضائه ؟ هل من سبيل إلى أن نرد هذه الآلاف العشرين من الصفحات إلى بعض العناوين الكبرى التي تنتظمها وتندمج فيها ؟ .

إن توزيع مقالات المجلة يبدو شرطاً أساسياً لابد منه حين نحاول أن نتعرف إليها ، وليس في وسعنا أن نعتمد هذا التوزيع الذي تقسم فيه المجلة صفحات أعدادها بين المقالات ، والتعريف والنقد ، والآراء والأنباء .. ذلك أنه ، فيما قلت لكم آخر المحاضرة السابقة ، تقسيم متداخل ، وأن عناوينه لا تسيطر عليه ، وأنه فوق ذلك وقبل ذلك لا يرمى إلى الذى نرمى إليه من تقسيم المقالات والموضوعات بين المناحي الفكرية المختلفة .

وعلى ذلك فلا بد لنا من أن نستعرض ماكتب في المجلة على غزارته ، وأن ننثره بين أيدينا .. ولكننا لن ننشره نشر تعداد ، ولن ننثره نثر إفراد ، وإنما غرضنا ردّ هذا التكثر إلى زمر متلاقية ومجموعات متشابهة .

وحين نفعل ذلك فى شىء كثير من الدءوب والصبر ، فى سبيل الاتصال العميق بالحركة الفكرية وتطورها فى هذه السنوات الأربعين — وهو غرض هذه الدراسة — فسنجد أن كل ما فى المجلة يمكن أن تتوزعه الموضوعات التالية :

١ — الدراسات اللغوية .

٢ — الدراسات الأدبية .

٣ — المخطوطات .

٤ — الدراسات الإسلامية .

٥ — الفلسفة .

٦ — التاريخ والجغرافيا والرحلات .

٧ — الآثار .

٨ — المجتمع المعاصر .

٩ — القانون .

١٠ — العلوم .

١١ — الاستشراق .

١٢ — التعريف والنقد .

١٣ — الأدب الإنشائى الصرف .

وليست مقالات المجلة ، فيما سنلاحظ ، موزعة فى قسمة عادلة ، بين هذه الموضوعات المختلفة ، وإنما يطغى بعضها على بعض ، ولا يكاد يظهر بعضها إلا على استحياء أو خوف . وسنلتقى ، إن اتسع لنا الوقت ، فضل هذا الحديث حين نعرض لكلٍ من هذه الموضوعات وحده .

القسم الثانى – الدراسات اللغوية

تقسيم وتجميع

هذا الجانب من البحث أظهر الجوانب فى المجلة ، ولعله يبدو – للوهلة الأولى – أنه الطابع الغالب عليها .. ذلك لأن امتداده وسلطانه ينسى الناسَ الذين ينظرون فى المجلة نظرة عجلى أن يلمحوا ما حوله وما وراءه وأمامه من ألوان البحث ، فإذا المجلة فى أعينهم ترتدى هذا الثوب اللغوى الرصين ، وتبدو ، أغلب ما تبدو، فيه .. ولكننا سنرى بعدُ أن هذه الدراسات اللغوية ليست إلا طرفاً من أطراف المجلة ، وأن المجلة تتجاذبها هذه الدراسات الأخرى وإن كانت لا تستبد بها دائما كما تحاول أن تستبد بها اللغة دراسةً ونقداً ومقارنة .

ويسبق بعضى بعضاً إلى القول بأن غرضاً رئيسياً يستبد بكل هـــذه الدراسات اللغوية ويطوعها ... ذلك هو الإصلاح اللغوى والنهوض باللغة لتفى بحاجات المجتمع المتعددة . .وقد كان هذا الإصلاح واحداً من الخطوط الكبرى التى تنتظم الجماعة العربية منذ أول عهدها بالنهضة الحديثة .. إنها نشدت هذا الإصلاح فى كل شىء ، فى الحياة وفى المجتمع ، فى اللغة وفى الأدب ، فى كل مجالات الفكر والعلم .. وكان من الطبيعى أن يسوق ذلك كله إلى الحديث عن اللغة العربية من حيث هى أداة الفكر الاولى من نحو ، ومظهر التميز القومى من نحو آخر .. ولذلك فإننا قل أن نجد بحثاً من هذه البحوث أو مقالة من هذه المقالات لا يتصل بالإصلاح بسبب .. بل إن بعض الابحاث التى تبدو فى شكل نظرى صرف ، كانت تهدف فى الحق إلى تمهيد الطريق بين يدى هذا الإصلاح اللغوى وتيسير السبيل إليه .

وسنتحدث عن هذا بعدُ حين نلمّ الدراسات اللغوية كلها بنظرة شاملة تتبين خط السير فيها ونقطة الهدف عندها

وحسبنا الآن في سبيل دراستها أن ننظر في شيء من تقسيمها وتجميعها، وسنجد حين نفعل ذلك أنها تنطوي في هذه المجموعات التالية :

١ — اللغة واللغة العربية ، ظواهر عامة ،
٢ — العلائق والمقارنات والتأثيرات بين العربية وغيرها .
٣ — دراسات لغوية موقوفة على عصور بأعيانها أو كتب بذاتها .
٤ — الفصحى والعامية ، والكلمات غير القاموسية ، والدخيل والمولد.
٥ — اللهجات .
٦ — أبحاث نحوية وصرفية .
٧ — الكتابة والخط .
٨ — تعليم اللغة العربية .
٩ — المعاجم .
١٠ — المجامع .
١١ — وضع المفردات والمصطلحات والتعريب .
١٢ — نشر الكتب والرسائل اللغوية .
١٣ — أبحاث منوعة .

١ — اللغة ، واللغة العربية ، ظواهر عامة ،

تحت هذا العنوان تندرج طائفة من البحوث والمقالات غرضها أن تعمق تعرّف اللغة العربية .. أن تدرس خصائصها ، وأن تقف عند بعض ظواهرها لتجد في هذا الحديث عن الخصائص والظواهر سبيلاً إلى الرأي الجديد في إغناء اللغة العربية .

وأبرز ما تقعون عليه فى هذا الاتجاه الأبحاث والمقالات التالية :

عنوان البحث	المجلد والصفحة	الكاتب
الوضع فى اللغة	٧ - ٣٢٣	أحمد الأسكندرى
لباب الاستعارات والكنايات	١٣ — ٣٥	إدوار مرقص
النحت	١٣ — ٣٠٠ ، ٤٥٨	مارون غصن
الثنائية	١٤ — ٤٣٣ ، « المعجمية العربية ١٥ — ٣٥١ « فى ضوء الثنائية » ٢٣ — ٥٤٤ « تحقيقات معجمية » ٢٤ - ٤٧ ، ٢٠٧ ، ٣٥٥ تحقيقات معجمية ٢٧ — ٢١٦ « طلائعها » ٢٨ — ٥٤٢ « فضلها على المعجمية » ٢٩ — ٧٧	الأب مرمرجى الدومنيكى
التعريب وشروطه	١٤ — ٢٦	ادوار مرقص
المترادف	١٧ — ٤٠٨	
العدد فى اللغة العربية	٢٢ — ٤٢٧ ، ٥٣٢ ٢٣ — ٨٧ ، ٢٥٩	نعيم حمصى

وليس الغرض من أكثر هذه الأبحاث نظرياً صرفاً كما قدمت، وحين يكون هنالك تغليب للجانب النظرى فذلك على أساس من أن هذه الجوانب النظرية أساس لا بد منه فى فهم هذه اللغة، وفهم هذه اللغة وطبيعتها أساس فى إغنائها وتطويعها.

١ — ولعل بحث العدد الذى أشرت إليه ، أبرز ما تبدو فيه هذه الغاية العلمية وراء البحث النظرى المستقصى . فقد كتب الأستاذ نعيم الحمصى بعد سلسلة مطولة من المقالات فى هذا الموضوع تناولت جوانبه المختلفة « ألفاظ العدد ، حالات المميز مع العدد ، مميز الثلاثة وأخواتها ، العدد حين يكون موصوفاً ، وصفته ، تعريف العدد والمعدود ، إضافة العدد إلى مستحقه ، النسبة إلى العدد . . . » يقول « المجلد ٢٣ ص ٢٦٨ »

. بهذا أكون قد انتهيت من كتابة ما وددت كتابته فى بحث العــــدد وبينت الصفة البارزة التى يتصف بهـا علماء النحو فى كتابة علم العدد وغيره من أبحاث النحو وهى عدم دراستهم الموضوع دراسة كما ينبغى من حيث إحصاء التراكيب التى وردت عن العرب واستنتاج القواعد منها ، وضم ما تنتجه الحاجة والتطور فى لغات الحديث العربية إذا احتاج الأمر لتكون اللغـة حية سائرة مع الزمن ، ولتبقى كذلك ، بل جمـدوا علم النحو بشكل قواعد عربية أخضعوها للمنطق والفلسفة حيناً وللهوى والرأى الذى لا يستند إلى موجبات معقولة حيناً آخر ، وتعنتوا وتعمقوا حيث لا يحتاج الأمر إلى تعنت وتعمق ، كما أنهم لم يولوا وجوهم حين تدريسها شطر الطريق المجدى فى إفادة الطلاب .. ولابد لنا نحن الآن إذا أردنا أن نهج السبيل القويم فى دراسة وتدريس القواعد والـكلام بصحة ودقة أن ننفض غبار الفلسفة والمنطق والهوى والتمحك عن أبحاث علم النحو ، وهذا يتطلب جهوداً قد لا ينهض بها جماعة أو جيل ، وخير من هذا عندى أن نستقرىء النصوص التى نعتقد بصحتها ... فنستنبط من اللغات الغالبة فيها قواعد نبعد الطلاب عن أن يحفظوها عن ظهر قلب بل يراعونها بكثرة الاستعمال ، ونرجو أن يصل علماء العربية إلى هذا تقريباً ، والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل » .

ب — ويغلب هذا الوجه النظرى البحت على المقالات الطويلة التى كتبها الأب مرمرجى الدومنيكى عن الثنائية ، وقد أحس المرحوم الأستاذ المغربى بذلك فكتب فى عديد من المرات — حين كان يعرض لها مقالات أو يعرف بها كتباً — يؤكد طابع الافتراض الذى يكسوها والجدل النظرى الذى يستطيع أن يعصف بها .

٢ — العلاقات والمقارنات والتأثيرات بين العربية وغيرها

فى هذه الجملة من المقالات ينفتح الحديث على صلة ما بين العربية وبين اللغات الأخرى فى العصور القديمة وفى هذا العصر الحديث . إنكم تعرفون أن العربية زحفت مع العرب إلى مهاجرهم الجديدة فى الفتح الإسلامى وأنها

كانت لغة هذا الدين ولغة هذه الدولة كذلك ، ثم صارت لغة الناس الذين دخلوا فى هذا الدين أو انطوَوا فى هذه الدولة ، ثم أضحت لغة حضارة كل هؤلاء الأقوام على اختلاف مذاهبهم الدينية أو ولائهم السياسى، منفصلين عن جسم الخلافة أو متصلين بها نوع اتصال .. ومعنى هذا أن هذه اللغة العربية التقت بكثرة من اللغات من نحو،ونزلت رقعة فسيحة من المهاجر من نحو آخر،وتبادلت الصلات والتأثير مع هذه البيئات والألسنة .

ومن الطبيعى أن يتجه البحث اللغوى المعاصر إلى إدراك هذه الصلة ورصد هذا التأثير بين العربية وغيرها بعد أن شاع هذا اللون من البحث المقارن فى اللغات الأخرى .

ومثل هذا الاتجاه يعبر عن منحى من مناحى التجديد فى الدراسات اللغوية، وإذا كانت المجموعة الأولى تمثل البحث التقليدى فان هـــذه المقارنات والعلاقات تمثل المنحى التجديدى منه .

وأبرز المقالات التى نجدها فى هذه المجموعة :

عنوان البحث	المجلد والصفحة	الكاتب
	٢ — ١٨٤،٣١٥	
الألفاظ الحبشية فى اللغة العربية	٣ — ١٢٢،١٥٨،٢٨٧	عبدالله وهد
	٤ — ١٣١، استدراك ١٦٧	
	٥ — ٢٧٦	
الأسماء اليونانية فى دمشق وجوارها	٣ — ٧٨	عيسى اسكندر المعلوف
ألفاظ عربية فى اللغة الأرمنية	١٢ — ٤٣٩	أ. أيان
العربية أم اللغات السامية	٦ — ٥٢٩	محمد بدر الدين العلوى
نظرة فى الكلام المجازى عندنا وعند الفرنج	١٦ — ١٧٥	ادوار مرقص

عنوان البحث	المجلد والصفحة	الكاتب
بعض اصطلاحات يونانية فى اللغة العربية ونظرات فيها	١٨ — ١٠٨،٤٤، ٣٠٧،٢٤٢	الأب أنستاس الكرملى
الأشباه والنظائر فى اللغتين العربية والفرنسية	٢٢ — ٣٣٤ ٢٣ —	المغربى
اللغة العربية فى البلاد الإسلامية	٢٢ — ٢٠٤،٢٠	عبد الوهاب عزام
الألفاظ السريانية فى المعاجم العربية	٢٣ — ٤٨١،٣٢١،١٦١ ٢٤ — ٣،١٦١،٣٢١،٤٨١ ٢٥ — ١٦١،٣	البطريرك مار اغناطيوس افرام
تأثير العربية على البولونية	٢٥ — ١٤٧	جرزى كوتسكوفسكى
خطاب آغاخان لاتخاذ العربية لغة رسمية لباكستان	٢٦ — ٤٧٠	أغا خان
الكلمات العربية فى اللغة الأوردية	٢٩ — ٢٥٢	مبارك الباكستانى
اللغة العربية فى أفغانستان	٣٠ — ٣٦٧	كارل شتولز
العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية السريانية	٣٣ — ٥٦٨	غريغورس بهنام

وتلاحظون من هذا السرد أن هذه الأبحاث اتجهت وجهات مختلفة ، بعضها نظر إلى اللغات القديمة فقرن بين العربية وبين الساميات التى تواخيها كالحبشية والسريانية ، أو قرن بين العربية واليونانية . . وبعضها نظر إلى اللغات الحديثة كالفرنسية . . وبعضها الثالث نظر إلى تأثير العربية على بعض اللغات فى بعض المواطن التى نزلتها كالهند أو أفغانستان أو تركستان .

إن هذه الدراسات ، بوجه عام ، لا تمثل نحواً جديداً من أنحاء البحث فحسب وإنما تمثل كذلك غنى هذا البحث اللغوى حين يخرج عن نطاق العربية لغة ، والعربية موطناً ، ليخوض مجال المقارنات والصلات وتبادل التأثير ، ويحرس المهاجر والمنازل . . وذلك قدر من النضج جدير بأن نتنبه إليه فى نظرتنا إلى تطور الدراسات اللغوية لأنه يشى بإتقان هذه اللغات الأخرى إلى الحد الذى يتيح هذه المقارنات ويمكن من الوصول إلى رأى سليم .

٣ — دراسات لغوية موقوفة على عصور بأعيانها أو كتب بذاتها

فى هذا النحو من البحث يتمثل شىء من التعمق وشىء من التخصص ، فنحن نجاوز الظواهر الكبرى والأبحاث العامة التى رأيناها فى المجموعة الأولى ، وندع المقارنات التى رأيناها فى المجموعة الثانية ، إلى دراسة تطور معين من أطوار اللغة فى عهد العثمانيين مثلا ، أو نقف عند الألفاظ الفارسية فى كتاب خاص ككتاب نشوار المحاضرة ، أو نرصد ما كان من كلمات فى العهد الأيوبى ، والعهد الصليبى ، أو نحاول دراسة المصطلحات التى استعملها كاتب مشهور مثل ابن خلدون .

وأبرز المقالات التى تطالعنا فى هذه المجموعة هى :

عنوان البحث	المجلد والصفحة	الكاتب
التأليف والترجمة والتعريب والادخال فى العصر العباسى	٤ - ١٠٦ ، ١٥٥	محمود المنحورى
اللغة العربية فى دور الترك العثمانيين	٦ - ٢١٧	المغربى
تفسير الألفاظ الفارسية فى كتاب نشوار المحاضرة	٢ - ٢٨٩ ، ٣٢١ ٣ - فى مواطن متفرقه من هذا المجلد « أنظر الفهرس »	أحمد تيمور

عنوان البحث	المجلد والصفحة	الكاتب
الكلمات الأيوبية	١٢ - ١٤٣	المغربي
« الصليبية	١٢ - ٥٠٣	المغربي
طريقة الخفاجي في التهذيب اللغوي	٢٣ - ٢٣٠	أنيس المقدسي
مصطلحات ابن خلدون	٢٦ - ٣٧٠	شفيق جبري

٤ — الفصحى والعامية

على أن موضوع الفصحى والعامية وصلة ما بينهما ، ومستقبلهما ، وما في العامي من فصيح وما في الشائع من خطأ ، وما ذكرت القواميس ، وما أهملت ، والكلمات غير القاموسية ، والحديث عن المولد والدخيل - كان أبرز الموضوعات التي استبدت بالدراسات اللغوية واستقطبت اهتمام هؤلاء اللغويين ، وما أكثر المقالات التي نجدها في هذا النحو وما أطول البحوث والدراسات ، وما أشق التنقيبات والتحقيقات التي يبدو أثر الجهد والعرق واضحاً في كل صفحاتها .

إن تعليل ذلك لايحتاج إلى وقفة طويلة ، لأن تمييز الصحيح من الفاسد وتفريق ما بين الدخيل والأصيل أول مراحل التنقية اللغوية ، واللغة العربية تعاني هذا الازدواج بين العامية والفصحى وتشهد هذا الصراع الحاد بينهما ، فكان لابد — من أجل تقريب الشقة بين هذين الخطين وصدر هذا الازدواج تمهيداً لاذابة العامية — من هذه المحاولات الجادة الكثيرة التي بذلها هؤلاء الدارسون اللغويون .. إنهم لم يتجهوا تجهماً كالحاً للعامية ، فما في وسع المصلح أن ينكر سلطانها هذا الانكار المفاجىء الحاد ، ولكنهم

حرصوا على أن يفيدوا من كل لفظ فيها يعود إلى هذا الفصيح أو يتصل به بسبب .. ولم يقفوا عند حدود ما فى المعاجم وانما نشدوا الكلمات التى لم ترد فى المعاجم وحاولوا إجازتها .. ورصدوا الافهام والأقلام وأخذوا يقيلون من عثرتها ويصلحون من اعوجاجها .. وامتدت بحوثهم وتنقيباتهم فى ذلك متصلة لا تعرف الانقطاع ، كما لم تمتد فى أى نحو آخر من أنحاء البحث اللغوى ، وتتالت كما لم تتال فى أى موضوع آخر ؛ ونبشوا حتى الكتب القديمة فى هذا النحو من البحث ، ولذلك نشروا كتابين يتصلان بذلك أشد اتصالهما : تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقى ، وبحر العوّام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلى الحلبى .

إن مرحلة تنقية اللغة واستحياء ألفاظها الصالحة والتنقيب عنها هى المرحلة الطبيعية الأولى فى هذه المعركة الدائرة بين العامية والفصحى وهى أبرز الميادين التى لا بد للفصحى من أن تخوضها لتحفظ عليها وجودها .

ولذلك كله نجد هذه الكثرة من المقالات ومن الكتاب، تطلعنا عليها هذه القائمة التالية التى تضم أبرز ما كتب فى هذا الموضوع :

عنوان البحث	المجلد والصفحة	الكاتب
الغريب والفصيح فى العامى	٦ — ٤٣٣	أحمد رضا
الكلمات غير القاموسية فى المجلدات	٨—١٣ فى أماكن متفرقة	المغربى
نشر كتاب تكملة إصلاح ما تغلط به العامة	١٤ — ١٦٣ وما يليها	
كتاب بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام	١٥ — ٨٥ حتى ٢١٥	
كتاب التنبيه على غلط الجاهل والنبيه	٦ — ٤٣ وما يليها	المغربى
بين العامى والفصيح	١١ — ٥٩٣	ادوار مرقص
العربية العامية وعلاقتها بالعربية الفصحى	١٨ — ٣٠، ١٥٥	إدوار مرقص

المقال	المجلد — الصفحة	الكاتب
	١٩ — ٥٩، ١٤٩، ٢٥١	
	٢٠ — ٢٤٢، ٤٣٢	
العامى والفصيح	٢٢ — ٢٤٧، ٥١٧	أحمد رضا
	٢٧ — ١٠٥، ٣٣٩، ٥٨٧	
بين الفصحى والعامية	٢٨ — ١٥٤	محمد كرد على
القول الناجع فى الغلط الشائع	٢٤ - ٣٩٥	مصطفى جواد
	١٧ - ١١٤	
بقايا الفصاح (بحث فى تصحيح اللغة)	٢٠ — ١٩٣، ٣٠٢، ٣٩٥	شفيق جبرى
	٢١ — ٢٦/١٢ — ١٦١	
الفصيح والمولد فى كلام أهل الغوطة	١٨ — ١٩٣، ٣٠٢، ٣٩٥	كرد على
	١٩ — ٢٨٩، ٣٨٥، ٤٨١	
عثرات الأفهام فيما لا تفرق بين صوابه وخطئه الأقلام	١٨ — ٩٧، ٢٢٣، ٣٣٣، ٤٤٣، ٥٢٨	المغربى
مجمع اللغة بين الفصحى والعامية	٣٢ — ١٨١	الزيات
اللغة العربية بين الفصحى والعامية	٣٢ - ١٨٩	عارف النكدى
بين اللغة العربية الفصحى والعامية	٢٢ - ٢٠٤	على حسن عودة
حول الفصحى والعامية	٣٢ - ٢٤١	ساطع الحصرى
كلمات مولدة مشهورة	٢٣ — ٥٠٦	مصطفى الشهابى
الأوهام العاثرة	١٧ — ١٠٦، ٢٣٢، ٢٢٢	الأب الكرملى
عثرات الأقلام	فى المجلدات ١ — ٧ فى أماكن متفرقة كثيرة	المغربى

وأحب أن نلاحظ أن هذه المقالات لم تكن قصيرة تقنع بحيّز عدد من المجلة ، وإنما كانت تمتد عدداً بعد عدد ، وسنة بعد سنة ، فمقال بقايا الفصاح استمر سنين طوالاً ، وموضوع الكلمات غير القاموسية الذى أثاره الاستاذ المغربى مضى يتسلسل عدداً بعد عدد حتى شغل هذه السنوات الست .

إن معركة العامى والفصيح ، الزائف والصحيح ، كانت معركة هذه اللغة ، كانت كل معركتها .

٥ — اللهجات

وقد كان البحث العلمى الصرف جديراً أن يسوق إلى الاهتمام باللهجات وأن يعنى بدراستها .. غير أننا نقول هذا الكلام اليوم بعد أن تأصلت اللغة العربية واستطاعت أن تقف على قدميها لهؤلاء الذين كانوا يحاربونها ويريدون أن يحلوا اللهجات المحلية السائدة مكانها، وننسى الحرب العوان التى شهدتها . ولذلك لم تلق دراسة اللهجات الجو النفسى الذى يسمح بها .. كان اللغويون الذين أخلصوا الفصحى فى شغل شاغل عن ذلك كله ، كانوا يريدون استنقاذ لغة القرآن من أن تؤول إلى مثل ما آلت إليه اللاتينية فى أوربا ، مزق لهجات وأشباه لغات .. ولذلك بدا البحث فى اللهجات مخالفاً لطبيعة التفكير اللغوى العربى فى ذلك الحين ، بل مناقضاً له ... كان معناه الواقعى أن دراسة اللهجات هو نوع من إحيائها ، والحركة اللغوية كانت تستهدف ، أبعد ما تستهدف ، طمس هذه اللهجات وتمييعها وإحلال الفصحى محلها ، ومن أجل ذلك انصرف البحث اللغوى عن دراسة هذه اللهجات إلى دراسة شىء آخر ، إلى محاولة استصفاء خير ما فيها وضمه إلى الرصيد العربى السليم .

إن الأبحاث التى تحمل عنوان اللهجات خلال كل السنوات الطويلة لمجلة المجمع هى التالية :

عنوان البحث	المجلد والصفحة	السنة	الكاتب
الهجنة فى لهجة الحلبيين	٧-٢٨٥	١٩٢٧	كامل الغزى
تأملات فى اللهجات	١٥-١٤٠	١٩٢٧	فانتينو
عجائب اللهجات	٢٣-٣١٠	١٩٤٨	كرد على
بعض أسرار اللغة أو تصويب لهجة	٢٨-١٨١	١٩٥٣	المغربى

وحين ننظر فيها نجد أن المقال الثالث لـكرد على انما يدرس انتشار العربية وفشوء اللحن ونشوء اللهجات فى الأقطار المختلفة وينظر أكثره إلى عهود العربية الأولى ، ويشير إشارة عجلى إلى ضرورة ضبط اللهجات ووضع معجمات لها . . وكأنه بتاريخ اللغة ألصق . . وأن المقال الرابع لايتصل بدراسة اللهجات اتصالا مباشراً ولا يقصد إلى ذلك وانما يستدل بسليقة العامة اللغوية على تصحيح أصل لغوى . . أما المقالان الاول والثانى فهما فى صميم دراسة اللهجات ، الأول منهما محاولة لدراسة الانحراف فى لهجة الحلبيين المعاصرة . . والثانى ، تأملات فى اللهجات ، أبرز هذه المقالات لأنه يتصل بموضوعنا اتصالاً مباشرا .

كاتب هذا المقال هو الاستاذ ج . فانتينو استاذ علم اللغة العام والالسن السامية فى جامعة الجزائر ، ويظهر أنه جاء دمشق وزار المجمع وعرف بعضُ الاعضاء نوع دراسته فطلبوا منه أن يكتب لهم مقالاً للمجلة يشرح القواعد العامة لأبحاث اللهجات التى يعنى بها فجاء هذا المقال فى حقيقته تأييداً لوجهة هؤلاء المخلصين للغة الفصحى والمنصرفين عن لهجاتها .

إنى أنصح لكم بقراءة هذا المقال لأنه يغلب عليه المنطق والتركيز والانصاف فى آن واحد . . وحين يبدأ فيعرف علم اللهجات يذكر لنا أن من النادر أن نجد لغة تخاطب ، على مساحة متسعة من الأرض ، تحافظ على شكل واحد . . ثم يمثل باللغات الاوربية واللغة العربية ويقارن بينهما ويؤكد ضرورة دراسة علم اللهجات لاستكمال دراسة تاريخ اللغة وينأى به عن أن يكون علما ذا غاية نفعية . . فإذا جاء ينظر فى الذى يجب أن ننتهجه فى أمر اللغة العربية ولهجاتها نزعنا أن تكون سبيلاً لدعم اللهجات المحلية . . ومن الخير أن أقرأ عليكم هذا المقطع من المقال :

« لنتفاهم جيداً ، فانى لا أجد فى التفاهم شراً بل خيراً .. إن الاختلاف اللغوى شر ، والوحدة اللغوية خير عظيم . وإنى فى حالة العرب خاصة ،

لأفهم كل الفهم ،وأرى من الحق، أن يشعر العرب المتباعدة أقطارهم بحاجتهم إلى لغة واحدة هى رمز وحدتهم الروحية ، وان هذه اللغة الواحدة لا يمكن أن تكون سوى الفصحى . وأرجو أن يؤذن لى بضرب المثل الآتى : حينما يوجد أثر قديم من الأبنية ، عديم نفع وقليل جمال ، وهو على قارعة طريق ينتفع الناس بسلوكه ولا يستطيعون أن يستعيضوا عنه بغيره ، نجد من الحق الشرعى ان نفادى بهذا البناء وأن نهدمه ونزيله عن طريق الناس ، ذلك أن حاجات حياة المدنية تتقدم على الانتفاع بعلم نظرى صرف ؛ غير أن علم الآثار يتطالب، بحق ،أن يعنى بتخطيط هذا الأثر القديم ، وأن تُصوَّر منه المواضع الضرورية تصويراً شمسياً قبل أن يمحى من الوجود .

إن هذه الحالة لتنطبق على اللهجات العربية التى نريد أن تنقض وتنقرض ، ولا ريب أن من المفيد انقراضها ، إذ لا يرمى علم اللهجات إلى المحافظة على هذه اللهجات أصلاً ولا إلى تجديد حياتها ، وإنما يهمه أن توصف وتعرف قبل فقدها[1] . . . . .

ولكن من الخير والطريف معاً أن نلاحظ أنه بالرغم من هذه النزعة الهادئة للبحث فإن المجلة لم تملك إلا التعليق على المقال — وما أندر أن تلجأ إلى مثل هذا التعليق الطويل — ولأقرأ لكم بعض ما كتبته :

« إن مؤلف هذا البحث الممتع قد عُنى كل العناية باللهجات الشامية ولا سيما لهجات بادية الشام ، وقضى ما بين ظهرانى البدو زمناً طويلا ، فكتب ما كتب عن علم وخبرة؛ وبحثه هذا يشف عن روح انصاف طيبة،فمن الحق أن يجيبه إلى طلبه علماء اللغة العربية فيسهموا فى البحث عن اللهجات العربية الحية ، وقد قام من بعض الوجوه بواجبه من علمائنا الشيخ رضى الدين محمد بن ابراهيم الحنبلى مؤلف كتاب بحر العوام الذى نشره

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد ١٥ ص ١٤٣ .

المجمع العلمي .. فإنه بحث منذ نحو أربعة قرون عن لهجات بلاد الشام الشمالية عامة، ولا سيما لهجة حلب وكورها المحيطة بها، ومنها بلدة «تادف» التي ينتمي المؤلف إليها .. وهنالك، كما ذكر المستشرق، دلائل جمة على أن اللهجات العامية العربية مصيرها الانقراض، وأن الفصحى -أيد الله دولتها- تزداد على الأيام حياة وقوة وانتشارا».

لست في حاجة إلى تعليق، وإنكم لترون أنه حين لا تفسح مجلة تكثر فيها الأبحاث مكاناً في خلال ثمان وثلاثين سنة لدراسة اللهجات، وحين تفسح هذا المكان ذات مرة ويجيء حديث المتحدث وتعليق المعلق متطابقاً مع نظرة المجلة متوائماً معها، فمعنى ذلك أن المجلة لا تصدر عن الإيمان بضرورة هذه الأبحاث في مثل هذه الفترات الحرجة في حياة اللغة العربية حين تكون هذه اللغة مهددة في المدرسة والبيت والطريق، والجامعة أحياناً وعلى أقلام بعض قادة الحركة الفكرية ورجالها.

إن ظاهرة غياب هذه الأبحاث تكشف بوضوح عن روح المجلة ونظرتها إلى مثل هذا الموضوع.

وإلى عهد قريب كان تأسيس معهد لدراسة اللهجات العربية في جامعة القاهرة، فرعاً لمعهد اللغات الشرقية،حادثاً غريبا أو شاذاً عند الكثيرين من المهتمين بالبحث اللغوي . . . إنه بدا لهم عملاً لا يستحق البقاء، بله أن يستحق التشجيع عليه والاجازة فيه . وإننا لنقدر جميعاً الروح التي كانت تملي هذا السلوك مهما يكن من أمر جفائها للبحث الصرف . . ذلك أن العناية باللهجات، أول الأمر، بدأت بصورة خاصة في كل الأرض العربية التي وطئها الاستعمار، في كل أقطار شمال افريقية، في السودان، في فلسطين، في جنوب الجزيرة العربية، على أيدي بعض المستشرقين الذين ألقوا بهذه الدراسات إلى دوائر وزارة الخارجية للإفادة منها . . . كان أكثر الذين يقومون بهذه الدراسات لا يقومون بها لوجه العمل اللغوي الصرف

بمقدار ما كانوا يحاولون تأصيلها وتقعيد قواعدها والتمكين لها من العقول والقلوب لتحلّ محل العربية : هذا الرباط المقدس الذى هزأ بالزمان والأحداث . . ومن شأن ذلك بطبيعة الحال أن يجعل دراسة اللهجات فى جانب والنهوض بالفصحى فى جانب آخر مخالف . . ولكن معهد اللهجات لم يكن يهدف إلى ذلك بطبيعة الحال ، وإنما كان يريد أن تكون دراساته عوناً له على دراسة الفصحى وتأكيداً على وجودها السليم ، وإفادة من دراسة اللهجات فى أغراض أخرى تتصل مثلا باكتشاف توزيع القبائل ، ونوعية التحريف اللغوى ، وصلة ذلك باللغات القديمة فى الأقاليم.. إنها كانت دراسة غرضها المعرفة دون أى شىء آخر .

وبعد ، فلا بد من أن استدرك استدراك إيضاح . لقد قلت أول الحديث إننا لا نجد إلا أبحاثاً معدودة تحمل عنوان اللهجات . . ولكننى أريد أن أضيف أن جزءاً كبيراً من الأبحاث اللغوية الأخرى يمكن أن يكون متصلاً بدراسة اللهجات فى الشام مفيداً لها ، فمقالات العامى والفصيح ، والدخيل والمولد فى كلام أهل الغوطة ، وعثرات الألسن وما إلى ذلك كلها مقالات تقدم لدراسة اللهجات مادة خصبة . ومعنى ذلك أنه إذا لم تكن اللهجات درست دراسة فنية علمية ، فقد جاء فى أبحاث المجلة كثير مما يساعد عليها ويسعف فيها ، وإن لم يكن ذلك فى نطاق منهجها وفى سبيل غايتها المباشرة .

٦ — الأبحاث النحوية والصرفية

هذا المنحى من البحث جزء أصيل من الدراسات اللغوية لأن فقه الأبحاث الصرفية والنحوية إنما هو عون للباحثين اللغويين حين يذهبون إلى تقرير رأى ما كقياسية صيغة ، أو تيسير السبيل أمام بعض المصطلحات ، أو توسعة المجال فى التعريب والنحت ، ولذلك نجد مثل هذه الأبحاث :

عنوان البحث	المجلد	والصفحة	السنة	الكاتب
لا سيما	٦	٣٠٠	١٩٢٦	كامل الغزى
اسم الآلة بين النحاة واللغويين	٧	٤٩	١٩٢٧	المغربى
لا أبالك أو تنطع النحويين	٩	٢١٨	١٩٢٩	كامل الغزى
حركات الاعراب	١١	٢٥٧	١٩٣١	أحمد رضا
قط	١٣	٤٩٩	١٩٣٥	أسعد طلس
المصدر اليائى	١٥	١٤٥	١٩٣٧	الكرملى
توهم الحرف الأصلى زائدا	١٧	٤٨٦	١٩٤٢	المغربى
الوصف بفعلاء	١٥	فى أماكن متفرقة	١٩٣٧	
الموفى فى النحو الكوفى، كتاب،	من ٤١٧ فى ٢٤	— ٥٨٩ فى ٢٦		بهجة البيطار
جمع سيد على أسياد	٢٦	١٥١	١٩٥١	المغربى

ولعل أبرز مقالات هذه المجموعة دلالة على الاتجاه ، وتعبيراً عن الروح ، وتمثيلاً للصلة بين الأبحاث اللغوية والأبحاث النحوية والصرفية وكيف يجب أن تكون هذه الصلة ، المقال الذى كتبه الأستاذ المغربى عن اسم الآلة بين النحاة واللغويين . . . إنه يصور لنا نظرة للغويين إلى النحاة وموقفهم من هذه القيود التى وضعوها والقواعد التى قعّدوها فعقدوها، وحالوا بين اللغة وبين المرونة التى يجب أن تتسم بها، فكان لهذه القيود أثرها الكبير فى تحجير الواسع وشد الوثاق .

وقد أصلى المقالُ النحويين لاذعاً من النقد المادىء ، وفضل عليهم طريقة اللغويين فقال : « وأخذت من يومئذ استعرض فى نفسى أسماء الآلات الواردة فى كلام العرب والشائعة على ألسنة اللغويين فوجدت طائفة كبيرة منها لم تتوفر فيها الشرائط التى اشترطها النحويون من كون

الفعل ثلاثياً وكونه متعدياً ، فلم يعجبنى تشدد النحويين ولا تحجيرهم الواسع فى هذه المسألة ،وملت إلى رأى اللغويين الذين إنما ينقلون إلينا متون كلام العرب ، فطريقتهم فى اثبات اللغة وتحقيقها عملية بخلاف النحويين فإن طريقتهم نظرية فى معظم نواحيها . فينبغى إذن أن يكون كلام اللغويين هو العمدة فى هذا الباب ؛ ولا سيما أن نهضتنا اللغوية الحاضرة تستدعى التسامح والإفتاء بأقوال الكوفيين ولو كانت ضعيفة شاذة فكيف بأمر نقله اللغويون ودونوه فى كتبهم . وقديماً ما أحفظ تشدد النحاة وتعصبهم لقواعدهم قلوب أهل اللغة والأدب والبلاغة حتى قال أبو العلاء المعرى[1] . . . »

ونقل ألواناً من هذا الضيق بالنحويين وشذوذهم وجدها عند أبى العلاء وسيبويه وابن خلدون . . ليصل بعد ذلك إلى تأصيل هذا الأصل الذى يدعو إليه من تغليب الذى يقوله اللغويون على الذى يقوله النحاة :

« وما زال يخطر فى بالى هذا وأمثاله وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى فى إعلان تحكم النحويين فى مسألة اسم الآلة منذ قيدوه بالفعل الثلاثى المتعدى — يريد اسم الآلة على وزن مفعل : مبرد ، ومفعلة : مجمرة ، ومفعال : مفتاح — حتى ظفرت وأنا أنقب فى كناشات المرحوم الشيخ طاهر الجزائرى بهذا النص الصريح : «ذكر الفخر الرازى فى كتابه المحصول ، فى الفصل الذى عقده للكلام على مبادىء اللغة : إن قول أهل اللغة فى المباحث اللغوية راجح على قول غيرهم يعنى النحاة[2] » .

ومن هنا انطلق الأستاذ المغربى ينصب الموازين يحاكم هؤلاء النحاة ويوسع ما قيدوه .

وآمل أن تقرءوا المقال كله لكى تقفوا بأنفسكم على لون من البحث وضرب من الهدف . . وستقفون حين تقرءونه عند مثل هذه المقاطع التى عرض فيها الاعتذار للنحويين واتهامهم فى آن معا فقال :

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد ٧ ص ٥٠٠ . (٢) المصدر نفسه ص ٥٠١ .

« وقد اعتذر لهم بعض الفضلاء فقال : إن النحويين فى تأسيسهم القواعد وجمعهم الشوارد كثيراً ما يراعون فى هذا الجمع والتأسيس التقريب والتسهيل على الطلاب ، فيقتصرون من أحكام اللغة العربية على الأعم الأغلب فيضعون له الأصل ويقررونه فى كتبهم على أنه قاعدة عامة لجميع الجزئيات ، ويكون هناك فى بعض الأحايين مسائل وجزئيات أخرى تنطوى تحت قاعدة أعم وأشمل من تلك القاعدة التى وضعها النحاة . كذا قال هذا الفاضل فيكون أساتذة العربية على رأيه فريقين : فريق النحاة ... وفريق اللغويين[1] » .

وبعد أن يعرّف بكل منهما ينتهى إلى الجملة التالية : « فلا يحسن أن نقتصر على ما قرره النحاة مما يؤدى إلى الحجر والتضييق وتقليل الانتفاع بالمادة اللغوية أو بالارث الغوى الذى تركه لنا الاسلاف . وإنما الواجب أن نستفيد من أقوال اللغويين الذين وسعوا الدائرة ، بل من أقوال الكوفيين التى لم تشتهر فى كتب النحاة ولم يبيحوا العمل بها كما أباحوه بالنسبة لأقوال البصريين[2] ... » .

ألا ترون أن فى هذا الذى نقلته لكم من نماذج ما يصور ألواناً من البحث النحوى والصرفى فى سبيل العربية وإغنائها ؟ .

٧ — الكتابة والخط

لست فى حاجة إلى أن أحدثكم عن هذه الغزوة التى تعرض لها الحرف العربى . إن هذا الحرف الذى حمل فى ظلاله الوارفه الغنية إرث الحضارات ووسع الأفكار والمواهب ، وكان له وهجه على الطريق الصاعدة بالحياة العربية والثقافة الإسلامية — هذا الحرف لقى غضبة الغاضبين أو حقد

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد ٧ ص ٥٢ . (٢) المصدر نفسه ص ٥٣ .

الحاقدين أو انخداع الخادعين ، فدعوا إلى استبداله بالحرف اللاتيني . . بهرهم هذا التقدم الكبير في الحياة الأوربية وهذا السلطان العلمي والمادي الذي آل إليها ، وبدا لهم الحرف العربي بعد عصور الانحطاط المجاف هزيلاً ضئيلاً ، وثار هذا الموضوع بشكل أو بآخر . . بعضهم وقف عند صعوبات الكتابة فحاول تذليلها ، وبعضهم وقف عند الحرف فحاول استبداله ، وبعضهم بحث الأمر بحثا تعليميا ، وآخرون وقفوا عند التأريخ أو الناحية النظرية ، فكانت هذه المجموعة من المقالات :

عنــــوان البحث	المجلد والصفحة	الكاتب
أغلاط الرسم	٣ — ١٥٠	انستاس الكرملي
تبديل الحروف العربية	٣ — ١٧٧	
اقتراح في الحروف الدخيلة والحركات الفرعية	٨ — ٤٥٦	مرمرجي الدومنيكي
مشروع لكتابة الحركات بحروف عربية	٩ — ٦٥٤	زهير الشهابي
حركات الأعراب في اللغة العربية	١١ — ٢٥٨	أحمد رضا
الخط العربي	١٢ — ١٨٠	طاهر الجزائري

ونلاحظ بوضوح أن موضوع اللجوء إلى الحروف اللاتينية، كموضوع اللهجات ، لم يجد في مجلة المجمع كبير صدى . . . ومعنى ذلك أن هؤلاء الخالدين الذين كانت تقوم المجلة بهم وبمن حولهم ، كانوا يرون أن الاقتراح لا يسمو إلى أن يكون في مستوى الأبحاث الجادة . . . إنهم وجدوا فيه خروجاً صارخاً على الأساس الأصيل ، على التراث واللغة ، وهدماً لها بطريق غير مباشر ، ولذلك كان موقفهم موقف المنصرف عنه ، لا يريد أن يتيح له في مناقشته سبيل الضجة والظهور . . على حين يرى المتتبع للمجلات في مصر أن الموضوع لقي هنا من الشد والرخي ، ومن الجذب

والدفع ، ومن المقالة والرد ، ومن الشبهة والتجلية، حيزاً كبيراً واستبد باهتمام كثرة من الباحثين ، وظهرت فيه كتب وآراء ما كان أكثرها وأشد خطرها.

إن هذا الذى أقوله بعض طريقنا إلى أن نلاحظ أن الروح التى كانت تدفع مجلة المجمع فى الحقل اللغوى كانت أقرب إلى المحافظة منها إلى أى نحو آخر.

٨ — تعليم اللغة

كان هذا الجانب من البحث اللغوى جديراً أن يظفر بانتباه الدارسين إليه واهتمامهم به . . إن معالجته طريقة فضلى فى تأصيل اللغة العربية بتسهيل درسها وتيسير السبيل أمامها . . والصعوبات التى كانت تنفر من اللغة إنما كانت تبدأ بالمدرسة وبالتدريس . . غير أن مجلة المجمع لم تول الأمر عناية خاصة فكان كل ما فيها من ذلك مقالان،أحدهما : لماذا أخفقنا فى تعلم اللغة وتعليمها « م ١٩ ص ١٨٣ » للأستاذ المغربى ،والآخر « آراء وملاحظات بشأن دروس العربية والمراقبة المدرسية » م ٢١ ص ٣٦ » .

وقد أكون فى غنى عن أن أقول لكم إن المقال الأول تلخيص لمقالات متصلة نشرها الأستاذ الشيخ محمد عرفة فى مجلة الرسالة « العدد ٢٥٨ وما بعده»،وأن اعجاب الأستاذ المغربى بها هو الذى دفعه إلى تلخيصها .

٩ — المعاجم والمجامع

١ — أليست معاجم اللغة أبرز ما يشغل بال المجمعيين ؟ أليست معاجمهم مركز بحوثهم وملتقى جهودهم ؟ . لا عليهم إذن إن بذلوا فى هذا السبيل جهداً محموداً . ولكن هذا الجهد لم يبلغ حد وضع المعجم الجديد الذى نحلم به جميعا . . أترون أن هذا لون من قصور المجمع العلمى فى دمشق ؟ . قد أكون معكم فى ذلك لو كان الحديث عن المجامع

ولكن حديثنا عن نوع اهتمام مجلة المجمع عندنا بالمعاجم . . إن هذه العناية يكشف عنها تعرفنا للمقالات التى كتبت فى هذا السبيل :

عنوان البحث	الصفحة	الكاتب
عدوى الأغلاط فى دواوين اللغة	٥ ـ ٥٤١	محقق
نموذج من معجمنا فى العامية المصرية	٦ ـ ٩٧	أحمد تيمور
تصحيفات غريبة فى معجمات اللغة	١٠ـ٦٥	نلينو
نقد البستان	١١ـ٢٢٦	
التكملة والذيل للقاموس	١٢ـ١٠٦	
البستان نسخة لمحيط المحيط	١٤ـ١٢٧	الكرملى
معجم فيشر	٢٤ـ٥٠٠	المغربى
المعجمات الحديثة	٢٣ـ٧٧	الخانى
اغلاط أقرب الموارد	٢١ـ١١٨، ٢١٨، ٢١٧	أحمد رضا
	٢٢ـ٣٤٥	
طريقة الخفاجى فى التهذيب اللغوى	٢٣ـ٢٣٠	أنيس المقدسى
معجم عطية	٢٥ـ٣٣	مصطفى الشهابى
نظرة فى المنجد	٣٢ـ٤١٢	مصطفى الشهابى

والملاحظ أن بعض هذه المقالات كان نقداً أو تصحيحاً لبعض المعاجم الجديدة التى ظهرت فى الحياة اللغوية « البستان ، أقرب الموارد ، المنجد ».. وبعضها كان حديثاً عن المعاجم اللغوية القديمة... بعضها كان تعريفاً بفكرة معجم لو تم لتم للعربية خير كثير هو معجم فيشر ، وبعضها يدرس فكرة المعجمات الحديثة . .

ب ـ أما المجامع فنحن نجد فى الحديث عنها مقالين : أحدهما بعنوان المجامع العلمية فى العالم « م ١ ص ٩٧ ـ ١٤٧ » لعيسى اسكندر المعلوف ، والآخر بعنوان مجامعنا وأوضاعها « م ٢٣ ص ٣٠٨ » ، وهناك جزء خاص « م ٣٢ ص ١

وما بعدها ، عن مؤتمر المجامع اللغوية العلمية الذى عقد فى دمشق فى شهر أيلول ، سبتمبر ، من سنة ١٩٥٦ وعن أبحاثه ومقرارته .

ويسبق قلبى إلى شىء من شكوى أن يكون كل ما يكتب عن مجامعنا الحالية مقال واحد فى خلال هذه السنين الكثيرة ... ولكننا ننسى أن الذين يعيشون فى البيت لايفكرون فيه أحيانا .

١٠ — وضع المفردات والمصطلحات والأبحـــاث النظرية التى تقود إليه

لعل هذه الساحة أن تكون فى اتساعها وكثرة الجهود التى بذلت فيها ومدى العائدة التى كانت منها شبيهة بتلك الســاحة التى مرت بنا فى دراسة العامى والفصيح والدخيل والمولد ... وهذا الجانب من مقالات مجلة المجمع يمثل الجانب الإيجابى فى الحفاظ على اللغة وتذليل العقبات فى طريقها . . . لقد جدّت فى الحياة حاجات ، ونبغت شؤون ، وولدت علوم ومصطلحات ، وتكونت مسميات ، وكان لابد لهذه كلها من ألفاظ تعبرعنها وأسماء تتطابق معها ومصطلحات تنى بها ... كان لابد من هذه الألفاظ والمصطلحات والمسميات فى الشؤون العسكرية ، وكان لابد منها فى شؤون العلوم المختلفة فى الطب والنباتات والجيـــولوجيا والفلك وفى كل ضروب المعرفة الأخرى . . ولذلك كان كل جهد منتج فى هذا السبيل هو الجهد الذى تتقى فيه العربية هجمة بكلمة تضعها ، أو تصدّ غزوة بمصطلح تقره .. وقد وفقت مجلة المجمع إلى أن تكون ملتقى العقول المفكرة المنقبة فى هذا السبيل ، ومجمع الأقلام الجاهدة المنقرة . . . بل لعلها كانت فى فترة طويلة المجلة الوحيدة التى تتمثل بها هذه الجهود وتنتظم فى صفحاتهـا قبل أن يتأسس المجمع االغوى فى القاهرة وتولد مجلته .

ا — وحين نحاول أن نتتبع المقالات والأبحاث فى هذا السبيل فإننا نجد شيئاً كثيراً ... إن جملة صالحة من العناوين يلفها هذا الهدف ، وطائفة

ممتازة من الباحثين يتطوعون له ويهبونه نور أعينهم ليضيئوا بعض الجوانب المظلمة . . إن كل المقالات التى تحمل عنوان « فتاوى لغوية » أو « من الأدب القديم فى الصميم » أو « نخب من أهل الأدب » أو ما إلى ذلك تحاول أن تقع على اللفظة من الألفاظ تصلح لحاجة من حاجات الحياة الطارئة فتعبر عنها ، أو حالة من الحالات الناشئة فتنهض بأدائها .

ب — وإلى جانب ذلك نجد ألفاظاً معينة أقرها المجمع فى « م ١ ص ٤٣ ، ٣٩٢ » نجد ألفاظاً لإصلاح لغة الدواوين ، وفى « م ٢ ص ٤٧ ، ٨٠ » نجد طائفة من المعربات فى شؤون شتى ، وفى « م ١٨ ص ٢٦٨ صفحتان » بعنوان أوضاع لغوية إدارية . . والأمثلة أكثر من أن تحصى .

ح — ووراء ذلك أبحاث نظرية عن المصطلحات وجهود تطبيقية فى سبيلها تمثلها هذه المقالات التالية :

عنوان البحث	المجلد والصفحة	الكاتب
اللغة العلمية	٤ـ٣١٥، ٤٥٧، ٥٥٠	جميل الخانى
ألفاظ عربية لمعان زراعية	٥ـ٥٨٨ / ٦ـ٢٢٣	مصطفى الشهابى
	٧ـ٣٦٦ / ٨ـ٤٢٩، ٦٢٣	
	٩ـ٥٥ / ١٠ـ٢٤١، ٣٦٨، ٧٦٦	
كلمة فنية « الزردقة »	٦ـ٣٢٢	
بحث فى اصطلاحات النبات والحيوان	٧ـ٢٨٩	أمين المعلوف
	٨ـ٣٢١، ٤٦٥	
أوضاع لغوية فنية	٨ـ٧٠٥	المغربى
النجوم الثوابت وأسماؤها العربية والفرنجية	٩ـ٤٠، ١٦٠	أمين المعلوف
لمحة فى التعريب وشروطه	١٤ـ٢٦	ادوار مرقص
أسماء منتخبة لمسميات حديثة	١٦ـ١٧ / ١٨ـ٤٢٩	أحمد رضا

أسماء نباتات مشهورة	١٨ـ٤٩٣	مصطفى الشهابى
	١٩ـ٢٥، ١٣٢، ٢١٤	
ألفاظ التصنيف فى الفقاريات	٢٠ـ٣٩٩، ٤٨٨	مصطفى الشهابى
أسماء نباتات أعجمية من أصل عربى	٢١ـ٢٣/٢٥ـ٦٠٧	مصطفى الشهابى
الكلمات اللغوية الطبية	٢١ـ٢٧	المغربى
معجم مصطلحات أمراض الجلد	٢٢ـ٢٧	داود الجلبي
أسماء الفصائل النباتية	٢٥ـ٢١٠	مصطفى الشهابى
مصطلحات جيولوجية	٢٥ـ٣٤٩	مصطفى الشهابى
جملة من المصطلحات النباتيه	٢٦ـ٢٧، ١٦٨	مصطفى الشهابى
القطن واللغة العربية	٢٧ـ٣٦١	المغربى
اشارات السير فى الطرقات	٢٨ـ٤٩٣	المغربى
أوضاع لغوية عسكرية	٢٨ـ٢٨	المغربى
تعريب المصطلحات العلمية	٢٨ـ١٨	جميل صليبا
ملاحظات على مصطلحات طبية	٢٩ـ٦١٠	مرشد خاطر
الاصطلاحات الفلسفية	٣٢ـ١٨١، ٢٦٧، ٤٢٨، ٦١٤	جميل صليبا
جملة من المصطلحات البحرية	٣٣ـ٥٢٣	

ونحن نلحظ بوضوح أن بعض هذه المقالات ذو وجه نظرى ، ولكن كثرتها الغالبة تتجه وجهة عملية فتضع اللفظ أو المصطلح . . وهذه الألفاظ والمصطلحات يتصل بعضها بالنبات ، وبعضها بالحيــوان ، وبعضها بالطب وبعضها بالفلسفة . . إن هذه المقالات كلها أولت الناحية العلمية رعاية خاصة . . ولعله من أثر ذلك ، من أثر هذه الجهود الدائبة الصامتة وما خلفت من إثارات ، أن استطاعت الجامعة السورية تدريس الطب والعلوم

المختلفة باللغة العربية ، فسبقت بذلك كل الجامعات الأخرى وقطعت في طريق التعريب العلمي خطى فساحا .

وليست قيمة هذه الخطى في اتساعها فحسب ، وإنما قيمتها بمقدار ما كان من أثرها في إشاعة الثقة باللغة العربية وتجسيد قدرتها تجسيداً لا سبيل إلى الشك فيه . . فإذا نحن نملك عشرات من المجلدات في المباحث الطبية والكيميائية والفلكية والجيولوجية والفيزيائية والكهربائية باللغة العربية ، ونعرب أكثر مصطلحاتها ، ثم يتكون عندنا معاجم زراعية « معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي » ومعاجم طبية « معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات منقولا إلى العربية[1] » هي حجر الأساس في كياننا العلمي من نحو قومي .

١١ — نشر الرسائل والكتب اللغوية

بعض الجهد اللغوي الذي نجده في مجلة المجمع العلمي يتمثل بنشر بعض الرسائل والكتب اللغوية الصرفة التي تهب اللغويين زاداً طيباً لا يقعون عليه في المعاجم أو الكتب المعروفة . ونجد في هذا النحو ما يلي :

عنوان البحث	المجلد والصفحة	الكاتب
رسالة في الألوان	١ـ٧٦، ١١٠	الألوسي
التنبيه على غلط الجاهل والنبيه	٦ـ٤٣، ٩٠، ١٣٤، ١٧٤	أحمد تيمور
تهذيب اللغة للازهري		
وملتقطه للزمخشري	٧ـ٦٢	محمد رضا الشبيبي

(١) نقله إلى العربية لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق « الأساتذة مرشد خاطر ، وأحمد حمدي الخياط ، وصلاح الدين الكواكبي » .

تكملة إصلاح ما تغلط به العامة	١٤ـ١٦٣،٢٢٦	عز الدين التنوخي
بحر العوام لابن الحنبلي	١٥ـ٨٥ ، ١٦٥ ، ٤٠١	عز الدين التنوخي
	١٨ـ٤١١،٥١١	
رسالة الطرق	١٩ـ٣٨،٢٣٢،٥٣١	سليم الجندى
	٢٠ـ٣٣،١٢٨،٢١٤،٣٣١	

وواضح أن هذا العمل الذى بدأه المجمع منذ السنة الأولى إنما هو استزادة من الرصيد اللغوى ، وسد للحاجة الطارئة ، وسعي وراء تهذيب الكلام وتحرير اللغة . ولن أحدثكم عنه بأكثر مما تحدث عنه أصحابه ، ولذلك سأثبت لكم مقطعين : أحدهما فى التعليق على بحر العوام ، والآخر كتبه الأستاذ الشبيبي فى تقديمه لملتقط الزمخشرى :

ا — فى التعليق على بحر العوام نقرأ « فى الصفحة ٤٠١ من المجلد ١٥ » :
« هذا وإن بقاء اللغيات على الألسنة إلى يوم العرب هذا ، وهى ترجع إلى قبائل عربية عريقة فى الفصاحة ، لدليل مبين على نزول هذه القبائل فى الأقطار التى يلهج أبناؤها بها ، فما كان صحيحاً فصيحاً منها حافظنا عليه ، وما كان غير ذلك طرحناه ولم نلتفت إليه ، مع أنا فى استعمالنا للفصيح والصحيح من لغة العامة نكون قد قربنا بين لغتى الكتاب والخطاب ، فسهلنا لغتنا العربية على الأبناء والغرباء ، وليس من المعقول والمقبول فى شىء أن نهمل ألفاظ لغتنا وهى صحيحة ومأنوسة مستعملة ونبحث عن ألفاظ غريبة ومهجورة مهملة » .

ب — وفى تقديم ملتقط الزمخشرى كتب الأستاذ الشبيبي « م٧ ص٦٢ » هذا المقطع الذى يعرفكم بالجو اللغوى وما كان يصطرع فيه من آراء ويضطرام من رغبات :

« دفع الناس ، والحق يقال إلى عصر كثير الآفات ، جم الخرافات ، فقد ظهرت الآراء ، وعبدت الأهواء ، وأوثرت الشهوة على الحكمة ، والهوى

على العقل والفطنة، ووطىء الجمهور أعقاب كتبة أغرار، كثيرى العثار، وقلدوا رءوس الفتن ودعاة البدع ممن يرون من عناوين الارتقاء عبث الأحفاد، بتراث الأجداد، ومن شارات الحياة والبقاء رغبة الخلف، عن طريق السلف، وذلك فى أكثر الأوضاع، وجل مطالب العمران والاجتماع، فها نحن نرى فى صميم أقطار الإسلام وسرة بلاد الشرق قوماً مفتونين أبدوا صفحتهم للغة القرآن، وعيبة العلم والعرفان، داعين إلى استبدال أحرفها الهجائية بأحرف اللغة اللاتينية أو إلى الاستعاضة عن الفصحى باللغة العامية، مضمرين من وراء ذلك ما يستعاذ بالله منه: من فساد دخلة وخبث طوية، وسوء نية، وهيهات، يأبى الله ذلك وأعلام الملة، وأصحاب القبلة وكتب قيمة، وصحف مطهرة، بأيدى كرام بررة».

«لا نريد بهذا مجرد سرد الأقاويل، وإيراد الدعوى بلا دليل، على غنى لغتنا المباركة وغزارة مادتها، لكننا بدلاً من ذلك نتقدم بما يقمع شبهات المبطلين ومفتريات الأعاجم والمستعجمين وسائر من يقرف لغة الكتاب المجيد بضيق عطنها فى المفردات والأوضاع الفنية وكل ما هو من شرط المجامع اللغوية. فإنا ظفرنا بملتقط التهذيب...».

«يتألف معظم هذه الرسالة الفذة من ألفاظ خاصة وأوضاع مختارة ومفردات جامعة لأوسع المعانى أحيانا فى أوجز العبارات والمبانى، ويستفاد من درس ألفاظها أن الإمام الزمخشرى رمى فى التقاطها إلى ما يتوخاه ويرمى إليه فقهاء اللغة العربية وجهابذة المجامع اللغوية، ونقدة الأوضاع الفنية، قاصداً أسرار الصناعة التى قصدوها، رامياً إلى تلك الغاية التى رموا إليها من إصلاح المنطق وتحرير اللغة وتهذيب الكلام بطرق عديدة من جملتها انتقاء ألفاظ الخصوص لاستعمالها مكان ألفاظ الشيوع والعموم ونحو ذلك...».

أترون هذا التعليق أقرب إلى القطعة الأدبية حيناً وإلى شىء من لغة المنبر حينا آخر؟. أتجدون فيه كذلك روح هؤلاء اللغويين ومدى حرصهم وشدة تفانيهم؟. ذلك لكم أنتم.

١٢ ـ أبحاث عامة متعددة الجوانب

وبعد ،فني الذى قدمت لكم من عرض البحث اللغوى ما يكفى لتكوين فكرة صحيحة وواضحة وغنية عن مناحى البحث اللغوى فى مجلة المجمع ... ولكنى أجد من الأمانة أن لا أغفل هذه المجموعة من المقالات التى تبقت لدىّ ، وهى مقالات يمكن أن تندرج تحت أكثر من عنوان من العناوين السابقة . . . وكلها ، فيما الاحظ ، كانت تسخر فى سبيل اللغة العربية وخيرها . إن مقالا كمقال حياة الألفاظ «م٨» أو استقلال الألفاظ «م٢٥» لشفيق جبرى يبدو ، للوهلة الأولى ، أنه يجول فى نطاق لغوى عام ، وقد يكون كذلك فى مظهره ولكنه فى الواقع ينصب على اللغة العربية ويستشهد بها ويهدف إلى برهـا . . . إن مقال كرد على « تطور الألفاظ م ٢٢ » هو محاولة فى سبيل الدعوة لتطوير اللغة ، و « الإعلام بمعانى الأعلام » إنما هو فى صميم معانى أعلام فى اللغة العربية ، والراديو وأثره فى اللغة للمغربى لا يتناول الموضوع تناولا مجرداً وإنما يتناوله مطبقاً على اللغة العربية . وإليكم هذه المجموعة من المقالات :

عنوان البحث	المجلد والصفحة	الـــكاتب
الإعلام بمعانى الأعلام	١ ـ ٢٨٩، ٣٢١، ٣٥٣ ٢ ـ ٢، ٣٥، ٦٥، ٩٧	سعيد الكرمى
مطالعات لغوية	٩ ـ ٥٦	شكيب أرسلان
طرائف لغوية	١٥ـ ٢٦٩	شكيب أرسلان
أحاديث فى اللغة	١٩ـ ٤١، ١١٣، ٢٠٨	النشاشيبى
فى زوايا اللغة العربية	٢٠ـ ٤٤، ١٠٤	ادوار مرقص
الراديو وأثره فى اللغة	١٦ـ ٢٣	المغربى

أيكون لنا بعد كل هذا العرض الذى أردنا منه التعريف والإحاطة أن ننظر فى الطريق الذى كان يتجه فيه البحث اللغوى فى مجلة المجمع والروح التى كانت تمليه ،والهدف الذى كان يتطلع إليه . . . ما هى المراحل التى نستطيع أن نرسمها لتطور هذا البحث اللغوى وما هى الغايات التى نستشفها من ورائه؟ .

إن هذا يقودنا ، بعد هذا الاستعراض ، إلى قسم جديد من الموضوع ، هو دراسة هذا الجانب اللغوى وتمثل تطوره ، وتعرف طوابعه ، وإدراك هدفه .

وجوه البحث اللغوى ومراحلة

أترانا نستطيع أن نجد الخط الذى ينتظم مراحل البحث اللغوى . تلك مهمتنا كباحثين ،فلنحاول أن نجهد من أجلها .

١ — التفسير

بداية هذا الجهد اللغوى تمثلت فى التفسير : تفسير بعض الكلمات فى هذه السلسلة من المقالات التى ظهرت فى المجلد الأول بعنوان : الإعلام بمعانى الأعلام . . . ولسنا نجد فى هذا المجلد كله بحثاً لغوياً كبيراً . . ماذا؟ أكانت مجلة المجمع تريد أن تختط سمتاً آخر ،ثم غلبتها الظروف فسلبتها بعض ملامحها المرتقبة ،ثم أضفت عليها أكثر سيماء البحث اللغوى ؟ لا أدرى . . ولسنا الساعة لهذا وإنما نحن نمضى نشهد كيف مضى هذا البحث اللغوى .

إننا نلمح هذا التفسير كذلك فى سلسلة مقالات أخرى جاءت بعنوان تفسير الألفاظ الفارسية الواردة فى كتاب نشوار المحاضرة .

ولعلنا نقع على مظاهر أخرى لهذا التفسير فى مثل مقالات « فصح وشوارد » التى نشرها كرد على فى المجلد الثامن ، وفى المقالات التى تتجه إلى المولد والفصيح وإلى الكلمات غير القاموسية وغيرها . . فطابع التفسير فى العمل اللغوى هو الطابع الأصيل ، ومرحلة التفسير : تفسير الصحيح أو الخاطىء ، هى المرحلة الأولى فيه . . . ولذلك فإن محاولة تحديد الموضوعات والمقالات التى يظهر فيها هذا التفسير توشك أن تعاوى أكثر المقالات اللغوية التى عرضنا لها .

٢ — التنقية والتصحيح

وتلا ذلك مرحلة أخرى هى مرحلة التنقية والتصحيح . . مرحلة تتناول تنقية لغة الكتاب ولغة الحديث ، لغة التأليف العام ولغة الكتب المدرسية ، لغة الدواوين ولغة الجرائد . . عثرات الأقلام وعثرات الأفهام ، على حد تعبير الشيخ المغربى رحمه الله .

ويخيل إليك وأنت تستعرض المقالات التى تمت" إلى هذه المرحلة بصلة كأنما أنت أمام مهمل مهجور جاء هؤلاء الباحثون يزيلون ماتراكم فى جوانبه وعلى أطرافه من سوء ، وينقون أعاليه وأسافله من خبث ، ويردون إليه ألقه الذى كان له ، وإشراقه الذى يتميز به .

وتتمثل ، فى وضوح وفى تقدير ، وأنت تقرأ هذه المقالات الكثيرة جهد التنقيب والتنقير الذى يلازم مثل هذا العمل اللغوى ويكون أصلا" فيه .

والحق أن عبء هذه التنقية والتصحيح تعاوره كثرة من الكتاب والنقاد اللغويين . . كل منهم أخذ على عاتقه جانباً منه ومضى يعمل السنوات المتصلة ، بعضهم لجأ إلى هذه التنقية والتصحيح عن طريق استعراض فصيح اللغة الذى نسيه الفصحاء فكان من ذلك مقالات « بقايا الفصاح » لشفيق جبرى ، وبعضهم نظر فى الكلمات التى استعملها العرب وعرفتها العامة ولكن قل استعمال الخاصة لها فلم تشع بينها ، أو فى الكلمات التى للعرب فيها لغتان أو أكثر أخذت العامة ببعضها والخاصة ببعض آخر فكان من ذلك مقالات الأستاذ أحمد رضا بعنوان « الغريب الفصيح فى العامى » « م ٦ ص ٤٢٣ ، ٤٩١ ، ٥٣٨ » .

أما الأستاذ المغربى فقد بدأ مع المجلد الأول « سنة ١٩٢١ » سلسلة طويلة من المقالات بعنوان « عثرات الأقلام » جاء فى تقديمها « ص ١٧٣ » :

« قد رأى المجمع العلمى العربى أن ينشر فى مجلته وفى الصحف المحلية من وقت إلى آخر تحت عنوان « عثرات الأقلام » نبذة لا تتجاوز العمودين فى نقد ما تهفو به أقلام بعض الكتاب فيما يكتبونه ويحبرونه ، وسنجتهد فى الاقتصار على ما نظنه خطأ من القول مما لا يحتاج الأمر فيه إلى الرد والمناقشة تفادياً من الخروج عن صدد ما أخذنا فيه من إصلاح الهفوات إلى المجادلات والمناقشات التى طالما كانت سبباً فى خفوت الأصوات وموت المشروعات . وزيادة فى تجنب أسباب الجدل والمناقشة ندع التصريح باسم الكاتب الذى نؤاخذه والصحيفة التى كتب فيها مكتفين بنقد القول ، متبرئين إلى الله من الحول والطول . فعسى أن يقع عملنا هذا من أهل الفضل موقع الرضا والقبول ، فيتدبروا ملاحظاتنا هذه ويراعوا العمل بها كلما سنحت فى كتاباتهم ، أو دارت على أسلات أقلامهم ، إذ ليس الغرض من ذلك كله سوى خدمة وطننا العربى ونشر لغته الكريمة ، وإحياء فصيح تراكيبها وبليغ أساليبها ، والله الموفق والمعين » .

أرأيتم كيف كانوا يقدمون حذرين ، ويعملون جاهدين ، ويقدمون عملهم آملين .

وقد استمرت عثرات الأقلام هذه سنين طوالا وجمعت فى كتاب يحمل هذا الإسم .

ثم تابع المرحوم المغربى جهده بعد ذلك فكتب « عثرات الأفهام فيما لا تفرق بين صوابه وخطئه الأقلام » .

وكتب الكرملى فى الأوهام العاثرة ، يريد السائرة « م ١٧ ص ١٠٦ ، ٢٣٢ ، ٣١٢ » سلسلة من المقالات ، قال فى مقدمتها : « ألف كثيرون فى هذا الموضوع منذ صدر الإسلام بل منذ نشأته إلى هذا العهد . وسوف يكتب بعدنا جماعات فى نفس هذا البحث إلى أن تقوم الساعة . . . ونحن إن كنا نعود إلى هذا البحث فلأننا نريد أن ننبه هنا بعض من يهمهم الأمر على عُقَد وعُجَر وبُجَر لم يذكرها أحد قبلنا » .

ونشرت الكتب التى أشرنا إليها : إصلاح ما تغلط به العامة ، وبحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلى .

وما من شك فى أن هذا لون من العمل فى هذه المرحلة أشاع كثيراً من الألفاظ ، وصحح كثيراً من الأخطاء ، ورد إلى كثرة من الكلمات والتعابير اعتبارها ، فكان سبيلا لإغناء هذه اللغة .

وكذلك ترون أن الحركة اللغوية وجدت فى هـذه المرحلة حاجتها وفائدتها .

٣ — الإحياء والوضع

ولكن الحركة اللغوية لم تقف عند ذلك وإنما تجاوزت هذه المرحلة إلى مرحلة ثالثة بعدها هى مرحلة الوقوع على الثروة اللغوية حيث وجدت هذه الثروة ، فى المعاجم أو بعيداً عنها فى مجالات التراث كله ، للافادة منها فى مواجهة الحياة ومتطلباتها . . . وأخذ هؤلاء اللغويون هنا يحيون الفصيح المنسى ،ويضعون المصطلح الجديد ، ويسدون هذه النافذة المفتوحة على اللغة ، ما تيسر لهم ذلك . . ينبشون التراث ويستخلصون ما فيه للذى هم فيه ، ويردون المعاجم والمخطوطات والكتب على أنواعها فى سبيل ذلك . وانكم لتتمثلون هذه المرحلة فى هذا الذى قلته فى المحاضرات الماضية حين استعرضت جملة المقالات فى الوضع والتعريب .

٤ — مرحلة البحث اللغوى

وفى خلال ذلك لم يقتصر الأمر على هذا النحو العملى من الجهد ،وإنما بذل قدر كبير منه فى سبيل دراسة طبيعة اللغة وظواهرها بغية الإفادة من ذلك فى إغنائها وتطويرها وتلاؤمها مع ما فى الحياه من جديد ، وتعاقب هؤلاء اللغويون على بحث ظواهر الوضع والاشتقاق والتعريب وعلى صلة العربية بما حولها اليوم وما كان حولها بالأمس .

٥ ـ البحث التاريخى

وساق الأمر إلى لون جديد من الدراسة : دراسة اللغة فى عصور التوسع . . فقد وجد هؤلاء النقدة اللغويون أن العربية تواجه اليوم مثل الذى كانت تواجهه فى العصور العباسية حين لقيت الثقافات المختلطة وجهاً لوجه ، إثر خروجها من الجزيرة وانسياحها فى الأقطار التى تجاورها واستقرارها فى الشام والعراق ومصر وما وراءها . . . وأنها أمام المدنية المعاصرة فى موقف يشبه موقفها أمام الثقافات القديمة . . آنذاك كانت تعانى فى ترجمة الفكر اليونانى والهندى والفارسى مثل الذى تعانى اليوم فى ترجمة الفكر الغربى . . آنذاك كانت أمام هذا الفيض من الفلسفة والعلم ، واليوم تلاقى مثل هذا الفيض . . . ولذلك التفت هؤلاء اللغويون أحياناً إلى شىء من البحث التاريخى : ماذا فعل العرب فى تلك الفترة . كيف شدوا من أطراف اللغة ومدوا فى ساحاتها حتى وسعت هـــذه الثقافات ؟ . ما كان سبيلهم إلى ذلك وطريقهم فيه ؟ . إنهم بحثوا التوليد والتعريب والنحت وما إلى ذلك من الأساليب بدافع من القياس عليه والإفادة منه .

وكانت تلك وجهة طبيعية أيضا فى طريق الغة إلى الاغتناء والاسترفاد

٦ ـــ خصومات حول التجديد اللغوى

على أن أطرف ما فى الأمر أن اجتماع هؤلاء اللغويين على هدف واحد هو خدمة اللغة العربية وإعدادها لمسايرة الحياة المعاصرة لم يكن مقترناً باجتماعهم على الوسيلة إلى هذا الهدف ، فقد اختلفت بهم السبل وتباينت الوسائل،ودعا قوم منهم إلى المحافظة على سنن اللغةوالتقيدبالذى منع المتقدمون أو أباحوا حيث يكون ذلك ممكنا ،فإن أعوز الأمر بعد ذلك شيئا من خروج فإنما هو خروج بمقدار . . ودعا قوم آخرون إلى شىء من الانطلاق ، ورأوا أن الحياة باتساعها وتضخمها وتكاثر المسميات فيها ،

وأن العلوم بتقدمها واشتراك مصطلحاتها بين كثير من الأمم — لا تسمح لنا بالتزام هذه القيود ، وأنه لا بد فى البحث اللغوى المعاصر من جديدٍ من الأوزان والصيغ والأساليب ، دون مراعاة لسنن الأقدمين أو الوقوف عند حدودهم .

أولئك أرادوا أن يخدموا اللغة بالمحافظة عليها لأنهم خافوا إن هى أطلق لها العنان بعيداً عن السنن المألوف أو السنن الذى يمكن أن يولف — أن تخسر وجودها كله ، وينقطع ما بين حاضرها وماضيها ، فتؤول إلى شىء من التفسخ ، ويغرقها هذا الفيض من الجديد المطلق فلا تميز فيها بعد ذلك أصيلاً من دخيل . . وهؤلاء نظروا إلى الذى تضج به الحياة والأحياء من حولهم ورأوا أن الخرق متسع على الراقع فدعوا إلى شىء من تطعيم ونحت ، وتعريب ، على نطاق متسع .

ومثل هذا الخلاف أدى إلى كثير من جدل وشىء من خصومة ، ولعل أبرز الأمثلة ما نجده فى قصة النحت وقصة الألفاظ الدخلية :

١ — فنى موضوع النحت كتب الخورى مارون غصن فى المجلد الثالث عشر «ص٣٠٠ ، ٤٥٨» مقالا بعنوان : « النحت فى اللغة العربية وسيلة لتوسيع اللغة » ، ودعا فى هذا المقال إلى أن نأخذ بالنحت وأن نتسع بالأخذ فيه . غير أن المقال لقى ردوداً حامية عنيفة . . ومضى يقطع عليه الطريق ويسفه اتجاهه فيه كثيرون ، كالمستشرق الذى كان يوقع باسم سالم الكرنكوى « كرنكو » والأستاذ سعيد الأفغانى ، وبصورة خاصة كتب المرحوم الأستاذ سليم الجندى مقالا طيباً «٣٦٢ص» ، وأدى الأمر إلى أن يرد صاحب المقال بمقال جديد .

٢ — وفى قصة الألفاظ الدخيلة أثار الخورى غصن نفسه معركة جديدة حين نشر فى المجلد الرابع عشر « ص٢٧٧» مقالا بعنوان « الألفاظ الدخيلة وحاجتنا إليها » . . غير أن هذا المقال لم يلق من الرد ما لقيه المقال السابق . وتفسير ذلك كامن فى خلقية هؤلاء الباحثين اللغويين التى

سأحدثكم عنها . . . إنهم حين يأنسون من الكاتب روحاً من روح الخروج يؤثرون أن يسكتوا عن مقاله حتى تنطفىء جذوته حيث هو ، ويعتقدون أن الرد عليه سبيل النفخ فيه حتى يكون خلقاً ، وما إلى شيء من ذلك يقصدون . . وذلك تخطيط يبدو سليما ، لا شك فيه ، حين يُغَمّ علينا فى سلامة النيات .

٧ — الانعاش والتعزيز

وتكشف الدراسات اللغوية عن وجه آخر أو عن أرض جديدة تهدف إلى تأصيل اللغة العربية وقدْرِها ، وأنها ليست دون اللغات الأخرى ، ليست ضعيفة ولا عاجزة .

إن الكتاب الذين كتبوا فى ذلك كانوا يتماوجون بين الصراحة والجمجمة .. كان بعضهم يعترف بشىء من قصور اللغة ويدعو إلى إنعاشها ، وفى ذلك كتب المرحوم الأستاذ سليم الجندى فى المجلد الخامس « ص٢٩٧ » مقالا بعنوان : انعاش اللغة .

أما المرحوم الأستاذ أحمد أمين فقد كتب فى المجلد السابع « ص ٤٨١ » بعنوان : حاجة العلوم العربية إلى التجديد .

ولكن الذى يلفت النظر مقال لخليل مطران فى المجلد الحادى عشر « ص ٤٤ » بعنوان : صلاحية اللغة العربية .

غير أن تأصيل اللغة والاعتزاز بها بلغ غايته فى مقال كتبه الدكتور أسعد الحكيم فى المجلس الخامس « ص٤٥٦ » بعنوان « التفانى فى الحرص على اللغة » قال فى مقدمته .

« اللغة هى أثمن كنز تركه لنا الآباء ، عاشت مع السلف فكانت أطول منهم عمراً ، وعاركتها الليالى فكانت أصلب منها عوداً ، واستنفدها الدهر فلم تنفد ، وشوهتها الحوادث فلم تقبح ، فهى الروح للعرب تتقمص كلما

بليت أجسادهم ، وتنتشر كلما طويت أخبارهم ، صينت بها حياتهم ، وحفظت بها آثارهم ، فهى الوطن وهى القومية ، وهى الحياة وهى العصبية » .
ثم يقول : « ومن هذه النسبة المبسوطة ما بين اللغة والأمة يتضح لنا أن فى إصلاح الأمة إصلاح اللغة كما أن فى صلاح حال اللغة صلاح حال الأمة التى تتكلم بها ، لأنها روح عصبيتها وقوام قوميتها ، وهل يعيش جسم بلا روح وتقوم روح بلا جسد » .

وكذلك ترون أن وجهاً من وجوه البحث اللغوى هدف إلى إشاعة الثقة باللغة بعد كل هذه السلسلة من الجهود التى بذلت هنا وهناك .

إن معركة اللغة أخذت سمتها إلى النصر ، إلى الدفاع الذى يحمل معنى الهجوم أحيانا على الخصوم .. خرجت من نطاق وضع اللفظة والمصطلح ، وأحست بأن رصيدها من الخصائص ومن التميز يمكّن لها من الغلبة ، فانصرفت تعتز بالذى عندها وتؤصل لوجودها .

* * *

تلك هى ، فيما يبدو ، وجوه هذا البحث اللغوى ومراحله ، من التفسير والتنقية إلى الإحياء والوضع ، ومن البحث اللغوى إلى البحث التاريخى .. من الجدل إلى الخصومات ، وأخيرا إلى هذا الاعتزاز باللغة وقدرها أحسن قدرها .

إن هذا الخط الذى ترسمه هذه المراحل لا يمثل وجهات البحث اللغوى فحسب ولكنه كذلك يمثل قصة اللغة العربية نفسها فى صراعها ، فى معركة وجودها التى خاضتها . حاولوا أن ينالوا منها وأن يبعدوها عن الحياة ليحلوا محلها لغات دخيلة ، أو لهجات هزيلة ، أو حروفاً غريبة .. ولكنها بالحيوية التى فيها ، والقدرة الكامنة التى وهبها الله منذ وصل بينها وبين رسالته فى القرآن الكريم ، استطاعت أن تنتفض وأن تحيا وأن تسدّ الطريق على المهاجمين ، وأن يكون غاية هؤلاء المهاجمين بعد ذلك ان يدّعوا أنهم إنما أرادوا لها الاصلاح .

هذه المراحل هى قصة اللغة نفسها . بل لِمَ لا أقول لكم أيضا إنها قصة الحركة القومية كلها فى وجودها الحاضر ؟ .

بقى أن أستدرك شيئاً لا أحب أن يفوتكم ولا أحسب أنه يفوتكم .. فهذه الوجوه التى حدثتكم عنها فى تطور البحث اللغوى لم تكن بهذا التمايز الحاد ولا الفصل الجازم بينها . لم تكن مرحلة تنتهى ثم تبدأ بعدها مرحلة جديدة ، وإنما تقدرون أنها مراحل متداخلة ووجوه متصلة كأنها وجوه حجر النرد . . وقد يكون هذا التداخل والتواصل بحيث نجد اشتباك الوجه الأول والأخير . . . إن ظواهر من هذا النوع لا يستطاع فيها الفصل ، وإنما يكون الحديث عن المراحل أو الوجوه فيها نوعاً من رصد جوانبها المختلفة ، أريد أن أقول : جوانبها المشتبكة .

كذلك لن يفوتكم أن هذه المراحل متداخلة كذلك فى الذين يَلُون أمرها ، فليس هناك أشخاص بعينهم لمراحل بعينها ، وإنما يكتب الناقد اللغوى فى التنقية ، ويشارك فى الخصومة ، ويكون له الرأى هنا والرأى هناك ، وقد تكون المقالة الواحدة أو سلسلة المقالات تعبر عن عديدٍ من هذه الوجوه والمراحل . . ولذلك يحسن بنا أن نرى فى هذا العمل كله : بمراحله وأشخاصه وموضوعاته ، كتلة متداخلة متكاملة .

طوابع البحث اللغوى

بعد الذى استبان لنا من موضوعات العمل اللغوى ووجوهه يحسن بنا أن نتساءل : ماهى الطوابع العامة التى كانت تغلب عليه ، وما هى الظواهر التى كانت تكسوه ؟ .

وفى سبيل التعرف إلى هذه الطوابع العامة يكون من الخير لكم أن تقرءوا بأنفسكم بعض هذه الدراسات والأبحاث ، وستلمحون بعد قراءتها هذه الطوابع التالية .

١ — تنوع البحث

أحسب أنى لست فى حاجة إلى أن أحدثكم عن هذه الظاهرة بعد الذى عرضت من موضوعات البحث اللغوى . . . فقد رأيتم كيف كانت هذه الموضوعات متعددة الألوان متخالفة الأنحاء ، وكيف ذهب بعضها فى هذا الوجه وذهب بعضها فى الوجه الآخر ، كيف تناولت طبيعة اللغة وظواهرها وكيف قارنت بينها وبين اللغات الأخرى ، وكيف درست فصحاها وعاميتها وخطها وكتابتها [١] . .

والحق أننا فى الأبحاث اللغوية أمام هذا الفيض الثرّ ، لأننا أمام

(١) وجدت فى البطاقات التى كنت أكتبها وأنا أعنى بتتبع الأبحاث اللغوية فى مجلة المجمع أن المجلد العشرين يمكن أن يعتبر نموذجاً لهذا التنوع فى البحث اللغوى ، ففيه حديث عن اللغة فى النواحى العلمية فى مقال للأمير مصطفى الشهابى ، وفيه نشر مخطوط لغوى « رسالة الطرق » للمرحوم الأستاذ سليم الجندى ، وفيه تنقيب عن الفصاح « بقايا الفصاح » ، وفيه نوع من التتبع للفظة الواحدة ، وفيه تقريب ما بين الفصحى والعامية لأحمد رضا . . ولست أملك الآن أن أتثبت من ذلك عن طريق المقارنة بين هذا المجلدات والمجلدات الأخرى . وحسبى هذا اللفت .

المطبوعات والمخطوطات، أمام دراسات تتعلق بعلم اللغة أو فقهها بوجه عام وأمام دراسات تتعلق باللغة العربية بوجه خاص.. أمام أبحاث نظرية وأبحاث تتخذ طابعاً عملياً، أمام اللغة فى أثوابها القديمة واللغة فى أثوابها الجديدة، أمام اللغة المنطوقة لغة الأفهام واللغة المكتوبة لغة الأقلام، أمام المفردات والمصطلحات، أمام الكلمات النادرة والكلمات المتداولة ... وصحيح أن بعض مناحى البحث لم تكن مشبعة كما فى اللهجات ولكننا قدمنا لكم القول فى تعليل ذلك.

إن ظاهرة التنوع هذه ليست قاصرة الدلالة على ذاتها، ولكنها لها مصدرها ومعناها.

١ – فأما مصدرها فذلك أن هذا التنوع كان فى الحياة نفسها، فى اتساع هذه الحياة وغناها، وفى نزوعها إلى أن تنهض فى كل منحى: فى العلم والفن فى المدرسة والحياة، فى الحياة اليومية والحياة الفكرية، فى شؤون الإدارة وشؤون الثقافة.. وأمام هذا النزوع الذى شمل حياتنا كلها كان لابد للغة، وهى أداة هذه الحياة، من أن تتنوع مباحثها وتتكاثر مناحيها، سيراً مع الحياة وانشعاباً بها.. أفكان من الممكن أن تنشأ الحياة الإدارية الجديدة، فى نطاق الوفاء للعربية والحفاظ عليها، من غير أن يستدعى ذلك بحث ما كانت تستخدم العرب من ألفاظ؟.. أكان من الممكن أن تنشأ الحياة العسكرية الجديدة بعد خروج الترك العثمانيين من سورية مثلاً ويتألف هذا الجيش الجديد على أنقاض التشكيلات العسكرية التركية وفى إطار جديد هو الإطار العربى، من غير أن تضطر المجامع إلى وضع الكلمات الجديدة لمسميات الجيش ورجاله وأن يسوقها ذلك إلى تشقيق البحث بين الواقع والتاريخ؟.

لقد كان تنوع الحياة مؤدياً بطبيعة الأمر إلى مثل هذا التنوع فى البحث اللغوى، بل إنه كان مصدراً له.

ب — وأما معناها فذلك أن الجو الفكرى للجماعة العربية آنذاك فى هذا الإقليم كان يضطرم بكثير من الرغبات وتغلى فيه دفقة ملونة من المشاعر.. إنها كانت تنشد هذه النهضة فى كل شىء، فكان الجهد اللغوى موزعاً بين هذه المناحى المختلفة التى أشرنا إليها.

٢ — تنوع الباحثين

حين ننظر فى أسماء الكتاب الذين أسهموا فى هذه الحركة اللغوية يروعنا تعددهم وتنوعهم.. إنهم كانوا يمثلون أكثر الأقطار، بعضهم من مراكش وبعضهم من الجزائر وبعضهم من تونس.. كثرة من مصر وكثرة من لبنان والعراق، والشاميون بكل أجزاء الشام.. ناس من الهند مثل محمد بدر الدين العلوى «م ٦ ص ٢٢»، وناس من باكستان مثل عبد العزيز الميمنى وحميد الله.. وإنهم كذلك ليتجاوزون الأقطار العربية والشرقية إلى الأقطار الغربية، فإذا عدد من المستشرقين يشارك فى هذه الدراسات ويدلى بدلوه فى الخصومة حول بعض الرأى والإجابة عن بعض الأسئلة.

ونجد هذا التنوع فى لغات البحث، فبعض هذه الأبحاث مكتوب بالعربية وبعضه ترجم عن اللغات الأجنبية كهذا المقال الذى كتبه ج. فانتينو عن اللهجات بعنوان تأملات فى اللهجات العربية «م١٥ ص١٤٠».

وليس هذا أبعد آماد هذا التنوع فى الباحثين، فنحن نجد من الطبيعى أن نقرأ مقالاً لغويا للمغربى أو الشهابى من دمشق أو للراوى وجواد والكرملى من بغداد أو للإسكندرى وتيمور من مصر.. ولكن الذى يروعنا حقاً أننا ننظر فنرى أن هنالك عدداً من المقالات اللغوية كتبها كتاب لم تكن نزعة البحث اللغوى نزعة أولى عندهم... إننا نجد البحث اللغوى قد غلبهم على نزعاتهم الأولى الأصيلة واجتذبهم إليه، فإذا شفيق جبرى الشاعر والكاتب

والدارس الأدبي المتميز يكتب في أوجه من البحث اللغوي ، في حياة الألفاظ « م ٨ ص ٢٥٧ » واستقلال الألفاظ « م ٢٥ ص ٣٤٤ » ، وبقايا الفصاح « م ٢١٧ ، ٢٠ ، ٢١ »... قد يكون كتب ذلك بلغته الخاصة وأسلوبه الخاص ولكنه على كل حال استجاب لإغراء هذه الموجة فانغمر فيها .

ولعل الخطاب الذي كتبه الأستاذ شفيق جبرى إلى المجمع العلمي العربي حين انتخبه عضواً فيه ، أن يكون أبلغ تعبير ذاتي وفكري ، في آن واحد ، عن هذا الذي أريد أن أقوله . ولذلك أوثر أن أثبته هنا :

« تناهى إليّ كتاب الأستاذ العلامة فشكرت لرجال المجمع العلمي العربي حسن ظنهم وجميل اعتقادهم ، لقد فصلوا لي برداً ضافي الحواشي سابغ الأذيال وتقدموا إليّ في لبسه فأدركتني الحيرة في أمري ، فإما أن ألبس هذا البرد فأعثر فيه ، وإما أن أخلعه فأكفر نعمة المجمع عليّ ، ولكني سألبسه فإن عثرت فيه فلست بأول رجل زلت به قدمه . وما هذا الرداء الذي سأرتديه إلا مطرف اللغة الذي نسجته الأيام وبالغت في تطريزه الدهور فازداد رونقه على تعاقب السنين وتضاعفت بهجته فانبسطت جوانبه فوسع أمماً ذهبت بين سمع الأرض وبصرها . لقد تضمنت اللغة عبقرية العرب واشتملت على خشونة بداوتهم ورقة حضارتهم ، وتمثلت فيها خواطر العرب وعلومهم ومنظومهم ومنثورهم في قديم الدهر وحديثه ، فهي المرآة التي إذا نظرت فيها أدركت فضل العرب ، وعلمت بمبالغ عقولهم ومقادير أحلامهم . . إلا أنه لا بد لهذه المرآة من صقل من حين إلى آخر فان عقول الناس قد امتدت آفاقها فاهتدت إلى مالم يهتد له الأولون . فاذا أحببنا أن يكون لمجمعنا فضل فلنجهد في صقل مرآة اللغة حتى تتراءى فيها موضوعات هذا العصر بمجامعها ، والسلام على رجال المجمع ورحمة الله وبركاته[1] » .

ومثل ذلك نجده أيضا عند الدكتور جميل صليبا فهذا الرجل الذي درس الفلسفة ودرّسها وأخلص لها قلبه ونفسه ، يعود فيشرك بها ، في نوع من الشرك

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد السادس ص ٥٦١

الخوى ، حين يولى البحث اللغوى وجهه فاذاهو يحدثنا عن المصطلحات العلمية وعن القواعد التى تتخذ فى صياغتها .. إنكم تستطيعون بطبيعة الحال أن تجدوا الرباط بين المصطلحات من حيث هى عملية فكرية - لغوية وبين الفلسفه من حيث هى نشاط فكرى ، وتستطيعون أن تجدوا مثل هذا الرباط عند الأستاذ شفيق جبرى بين اللغة من حيث هى أداة التعبير وبين الأدب من حيث هو نوع من التعبير الجميل .. قد يقول قائلكم ذلك . . . ولكن هذا المنطق من استراق نقاط التشابه لا يمكن أن يدفع عن الأستاذ جبرى ولا عن الدكتور صليبا استجابتهما لاغراء هذا الميدان الجديد .. إننا نستطيع أن نجد التشابه حتى بين قطعة الخشب وقطعة الحديد ولكن يظل لكل منها خصائصه المستقلة التى تطفىء هذا التشابه المجلوب .

بل إن هذا البحث اللغوى أغرى عديداً من العلماء والأطباء فاستجابوا إليه كذلك .. فاذا الخانى والحكيم وسبح وخاطر والكواكبى من الأطباء يمضون قدماً فيه حتى ليوشك أن يستبد بهم وحتى لتطغى أحيانا النزعة اللغوية عند بعضهم على النزعات الأخرى فيذكره التاريخ لغوياً متميزاً قبل أن يذكره هذا الطبيب المتميز .

أرأيتم إذن كيف تنوع الباحثون فى هذه المجالات اللغوية ، وكيف أقبلوا على اللغة شعراء وأدباء ومفكرين وأطباء وفلاسفة وعلماء يخوضون غمراتها ، ويظفرون بشهدها ، ويحسون أنهم أدوا واجباً مقدساً فى سبيلها ؟ .

ألا ترون فى هذه الظاهرة مصداق ما كنت حدثتكم به فى خاتمة إحدى المحاضرات التى سلفت حين قلت لكم إن مجلةً ما قادرة على أن تطبع كتابها بطابعها وأن تجذبهم إلى ساحتها .. وإنها بهذه القدرة الكامنة فيها تستطيع أن تكون مجلة ذات خط معين وروح معينة ، بالرغم من التكاثر الذى تلمحه فى أسماء كتابها وخلاف ما بينهم فى الاختصاص والنزوع الأولىّ ..

إنى لم أحدثكم عن مصدر هذه الظاهرة ودلالتها لأن فى وسعكم أن

تكتشفوا ذلك بأنفسكم حين تذكرون هذا الشعور المشترك الذى كان يلف العرب قبل أن تكون وحدتهم فكرة ناضجة ونواة متمثلة ، والذى كان يدفع لغوييهم وباحثيهم ، أطباءهم وأدباءهم ، إلى تمهيد الطريق بين يدى أغراضهم السياسية عن طريق التأصيل لها فى هذا النحو اللغوى .. ولعله من أجل ذلك التقى كل هؤلاء الناس ـ على تنوع بلادهم واختصاصاتهم ـ على هذه الابحاث ، وتفانوا فى سبيل تنمية اللغة وتطويرها .

٣ ـ الحيوية

طابع ثالث واضح فى هذه الدراسات ، هو الحيوية التى تشيع فيها رغم الجفاف الذى يلازم البحث اللغوى . إنكم لتلمحون هذه الحيوية ممثلة فى المظاهر التالية :

ا — فى الخصومات والجدل الذى ينشأ عن اختلاف الرأى .. ولعل قصة مقال النحت الذى حدثتكم عنه مثل بارز لهذا الجدل وما يكون فيه من إثارة .

ب — فى الاقتراحات والأسئلة التى يعرضها بعض الباحثين ... فهذا السؤال الذى وجهه الأستاذ المغربى عن الكلمات غير القاموسية وتلقى حوله طائفة من الردود شغل المجلة سنوات متصلة .

حـ — فى السلاسل المتجددة من المقالات يكتبها أصحابها حول موضوع معين كمقالات الألفاظ المولدة فى كلام أهل الغوطة لكرد على ، وعثرات الأقلام للمغربى ، وبقايا الفصاح للجبورى ، وما إلى ذلك .

إن مصدر هذه الحيوية إنما يرتد إلى الشغف العميق الذى يغمر نفوس هؤلاء الباحثين ، وهى تدل على الذى يملؤهم من إيمان بالعمل المتصل فى سبيل اللغة ، هذا العمود الفقرى لهذه الجماعة العربية .

---

(١) الصفحة ١٠٦ من هذا الكتاب وما تحيل عليه .

٤ – الطرافـــة

وكأنما كان يحس بعض هؤلاء الباحثين أن البحث اللغوى فى حاجة إلى شيء من تطرية ، وأنه كذلك فى حاجة إلى شيء من اجتذاب الناس إليه ولفتهم نحوه .. ولذلك لجأوا فى أبحاثهم إلى لون من الطرافة يدفعون به عن النفس الملالة ، ويرفعون عن البحث اللغوى تهمة الجفاف . . . وتبدت هذه الطرافة فى بعض العناوين ،التى تلقى مثلما تلقى الشباك فى دروب الطير ، كما تبدت فى طريقة تناول الموضوع .

ا – فأما فى التناول فكان أرشق ما قرأت من بحث لغوى هو هذه المقالات التى كتبها الأستاذ جبرى ، وارجعوا إلى بعضها إن شئتم لتروا كيف يصل بين الجديد والقديم ، وبين اللغة الأجنبية واللغة العربية ، وبين الحقائق النفسية والحقائق اللغوية ، وكيف يطرز مقالاته بجملة من هنا وجملة من هناك لكاتب أو مفكر أجنبى ، وكيف ينفذ فى بعض هذه المقالات « بقايا الفصاح » إلى صميم ما يحتاج إليه الناس ، أو يقع عليه فى أعماق كتبنا الأدبية من حيث يمر بها الناس معجلين عنها غير متنبهين إليها .

ب – وأما فى العناوين فلعل الأستاذ المغربى أقدر الناس على أن يكسب عنوانه هذه الطرافة . . إن نماذج من هذه العناوين كفيلة أن توضح لكم هذا الذى أقوله ... إنكم تذكرون مثلا عنوان عثرات الأقلام ، فلما انتهى منها بدأ عثرات الأفهام ، وأراد أن يحبب بالمباحث اللغوية فلجأ إلى بعض العناوين الأدبية « نغب من أهل الأدب » ..ويظهر أنه كان يبدو له الجديد من الرأى فى بعض ما ينقد من العثرات فاذا هو يكتب بعنوان « إقالة عثرة من العثرات » (م٢٦) أو « العثور على عثار » (م٢٠) ويريد مرة أن

يعرف بكتاب فلا يذكر لنا اسمه وإنما يقول: زيارة مخطوط(١).. وهكذا (٢)

٥ – الخلقية العلمية

حين أشير إلى الخلقية العلمية كواحد من طوابع هذه الأبحاث اللغوية تتمثل لى هذه الخلقية فى المظاهر التالية :

ا – الاتزان فى المناقشة . فقد التقى هؤلاء اللغويون فى جدل ، ودارت بينهم آراء ، ولكنهم لم يخرجوا فى ذلك إلى شىء من تجريح أو شىء من ابتذال. إن أقسى ما نجده فى ردودهم هذه الردود التى كتبها الأستاذ الجندى وكرنكو على الخورى مارون غصن فى مقاله عن النحت «م ١٣ ص ٣٠٠»، ومع أننا نحس القسوة فى هذا الرد إلا أن خطر الدعوة التى يدعو إليها غصن كان لا يمكن أن تقابل ، فيما يظهر ، من مثل هؤلاء السدنة بأقل من هذا الذى قوبلت به .

وإذا نحن تجاوزنا عن هذه « المعركة » فى خلال ثلاث وثلاثين سنة من سنوات مجلة المجمع فنحن لا نقع على ردّ فيه شىء من إزراء.

ب – الدءوب فى البحث . فهؤلاء اللغويون فيما يبدو لا يملون هذا الميدان الذى يخوضونه ، بل إنك لتخالهم كأنما هم رهبانه وفرسانه ينقطعون إليه نهارهم وليلهم . . إنهم يكتبون فى موضوعهم حتى يشبعوا هذا الموضوع بحثاً ، كأنما لا يعرفون معنى الملل . . إن تتبع الأستاذ المغربى لحديث الكلمات غير القاموسية ، ومقالات أحمد رضا عن العامى والفصيح ومتسلسلات مصطفى جواد عن أقول فى المقول ، وعشرات من الأمثلة الاخرى التى عرفنا للمغربى وكرد على والشهابى وسبح وجبرى، نموذج لهذا الدءوب . بل هنالك ما هو أبلغ فى الدلالة، ذلك أنه إذا كان الموضوع فى مجلةٍ ما يعالج فى العادة فى مقال واحد فإن الأبحاث اللغوية نادراً ما تكتفى بالمقال الواحد . . إن أكثرها يتعاقب على الموضوع فى سلسلة من المقالات .

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى ، المجلد السادس ص ٤١٢ .

(٢) من الحق أن نشير هنا إلى أن المرحوم أحمد تيمور باشا كان له مثل هذا الإطراف فى العنوان . أنظر مثلا خبايا الزوايا فى المجلد الرابع .

لقد ظل البحث اللغوى متألقاً فى المجلة خلال هذه السنوات الثلاث والثلاثين، وظل يحتفظ لنفسه بحيزه من المجلة واهتمامها ... على انكم إذا لاحظتم أنه انكفأ أحياناً كما يبدو، نسبياً، فى المجلد العاشر والسابع والعشرين وكان حظه فى هذه السنوات دون حظه فى السنوات الأخرى، فإن مردّ ذلك لا يعود إلى خفوت النشاط وضعفه بمقدار ما يعود إلى بعض الظروف الخارجية الطارئة التى تتصل بتاريخ المجمع نفسه. ومع ذلك فإن الدءوب اللغوى يظل فى المجلة صفة مميزة صارخة.

٦ – الطابع المحلى

وقد تأثر البحث اللغوى فى مجلة المجمع بالطابع المحلى . . . ونحن نجد هذا الطابع فى بعض المقالات واضحاً كهذه المقالات التى كتبها الأستاذ كرد على فى المجلدين الثامن عشر والتاسع عشر عن الفصيح والمولد فى كلام أهل الغوطة . . ومقالة كامل الغزى عن الهجنة فى لهجة الحلبيين، وكهذه العثرات الكثيرة التى كان يقع عليها الأستاذ المغربى فى صحف الشام وعلى ألسنة أهله، فإذا سمع كلمة «تظاهر» فى الصحف أيام المظاهرات والاضرابات وقف عندها، وإذا قرأ فى الصحف «المندوب السامى يخابر اليوم حكومته» أنكر هذا الفعل، وإذا لحظ قولهم حضرة الرئيس «المهاب» صححه إلى «المهيب» .. وهكذا.

والعناية بلغة الدواوين والألفاظ العسكرية تعبير آخر عن هذا الطابع المحلى أو الدافع المحلى إن شئتم الدقة، فقد اضطرت هذه الدوافع المحلية رجال اللغة إلى العناية بها ووضع الألفاظ لها.

* * *

تلك هى أبرز الطوابع التى نلمحها فى الأبحاث اللغوية . . وقد آن لنا أن نجاوز ذلك إلى ذكر الأهداف التى كان ينساق إليها البحث اللغوى والغايات التى كانت تجتذبه.

أهداف البحث اللغوى

فى وسعنا أن نلاحظ أن الهدف الرئيسى والكبير الذى يرتسم على الأفق اللغوى من وراء هذه البحوث إنما هو المحافظة اللغوية ... إن هذه المحافظة توشك أن تكون الصبغ البارز الذى يكسو أكثر الابحاث والمقالات .. وكل خروج عن هذه المحافظة على اللغة والرعاية لسنتها والوفاء لأساليبها كان سرعان ما يلقى الرد أو التنبيه .

ويبدو أن هذه المحافظة كان يرافقها نوع من الشعور الحاد بالاعتزاز القوى الذى لا حد له باللغة العربية والتفانى فى سبيلها ، والإيمان المطلق بأنها من العرب بمثابة العمود الفقرى .. بل إنها لتشبه الجملة العصبية إذا فقدوها فقدوا ذاكرتهم وتفكيرهم .. فيها تستقر ذكرياتهم المشتركة ومطامحهم البعيدة ، وآمالهم ، وآلامهم . وفى ألفاظها تتجسد مطامحهم ومشاعرهم .. إنهم ، فى رنين أصواتها وحركاتها ، يجدون أصوات أجدادهم ورنين الأفراح فى مستقبلهم .. ولهذا نجد الدكتور أسعد الحكيم ، أحد هؤلاء الباحثين ، يقول : اللغة أثمن كنز تركه الآباء لنا . فهى الروح للعرب تتقمص كلما بليت أجسادهم .. هى الوطن وهى القومية وهى الحياة وهى العصبية[1] » .

إن روح المحافظة المتحركة هذه والوقوف من المتسامحين موقف المتشدد مع رعاية حياة اللغة يتضح أكثر ما يتضح فى هذا الذى قاله المرحوم الأستاذ سليم الجندى بعنوان « انعاش العربية[2] » ، بعد أن تحدث

(١) أنظر ص ٤٥٦ من المجلد الخامس « مجلة المجمع العلمى العربى » .   (٢) المصدر نفسه ص ٣٩٧

عن قيمة اللغة وعن قيمتها بخاصة عند العرب : « ويلوح لى أن خير وسيلة تضمن انعاش اللغة وسيرها مع مدنية العصر الحاضر ، وتحفظ جوهرها من تسرب الخلل إليه أن تنقح من شائبة العجمة والركاكة ، وأن لا يصار إلى الدخيل أو العامى إلا عند العجز عما يرادفهما من الفصيح ، لأن التسامح فى استعمالها يفضى إلى إفساد اللغة وتكثيرها بغير فائدة ، والتباس الفصيح بغيره ، وانتشار الفوضى فيها .. ثم يورد بعض ما قد يعنّ من الاعتراضات ويقول إن غرضه البناء على أساس صحيح ومهما كان فيه من الكلفة فهو خير من البناء على أساس فاسد لا كلفة فيه ، لأن البناء على الفاسد فاسد .. وعلى الباحث أن يجدّ ، فإن لم يجد حاجته أو ما يقاربها لجأ إلى الدخيل والعامى ونزل فيهما على حكم الضرورة .

ويبدو أن هذه المحافظة عبرت عن ذاتها فى مظهرين كبيرين : أحدهما الرصد والتتبع ، والآخر محاولات الانعاش اللغوى .

١ — فأما الرصد والتتبع فذلك أن أبحاث المجلة فى الميدان اللغوى جعلت من نفسها حارساً لهذه اللغة ورقيباً عليها .. إنها لترقب لغة الدواوين ولغة الناس ، لغة التأليف ولغة الإنشاء الأدبى ، لغة المدارس الإبتدائية ولغة المدارس الثانوية والجامعات ، سواء أكان ذلك فى كتب العلوم أم كتب الدراسات الإنسانية .. إنها تفتح أعينها فى كل اتجاه ، وترد على كل خطيئة لا تسكت عن واحدة .. ويتعاقب على هذا الرصد والتتبع لغوىّ من أقصى الأرض هنا ولغوى من أقصى الأرض من هناك .. وهى لا ترصد آثار الناس وأقوالهم وإنما ترصد كذلك أعمال الهيئات اللغوية الأخرى ، فتنقد ما يظهر فى مجلة مجمع اللغة مثلا أو فى مجلة المجمع العلمى العراقى أو الجامعة السورية ، تؤيده أو تشجعه ، ترضى عنه أو تسخط عليه .. فيكتب الأمير مصطفى الشهابى مقالة : نظرة فى مجلة مجمع فؤاد الأول ، ويكتب الدكتور مرشد خاطر ملاحظات على مصطلحات علم الأمراض فى مجلة مجمع فؤاد الأول ، ويكتب الدكتور حسنى سبح

سلسلة متصلة من المقالات فى نقد معجم المصطلحات الطبية الذى نقله إلى العربية أعضاء لجنة المصطلحات العلمية فى كلية الطب من جامعة دمشق الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدى الخياط وصلاح الدين الكواكبى ... ومثل مقالات « أقول فى المقول » لمصطفى جواد تعبير واضح عن هذه الحراسة الدقيقة ، و« إقالة عثرة من العثرات م٣٦ » للمغربى تدل على مدى الرغبة فى تحرى الصواب وإشاعته ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر . . وحسبكم أن المجلة ظلت تحمل لواء الدعوة إلى اللغة العربية النقية ، وتجهد فى ذلك جهداً إيجابياً كل هذه السنين.. حتى لقد كان إنشاء مجمع اللغة فى القاهرة بعض الصدى لهذه الصرخات التى أطلقت فى مجلة مجمع دمشق .

ولم ترصد المجلة الأخطاء فى الألسنة وعلى الأقلام ، وإنما رصدت الانحرافات بها ، كما أبنت قبلُ ، عن طبيعتها وسنن العرب فيها ، فوقفت دون النحت المستهجن ، والتعريب الضعيف ، واللفظة لا وزن لها من أوزان العربية .

لكأن المجلة فى ذلك كله عين يقظة ساهرة لا تعرف النوم ، يهيجها دائماً تطلعها البعيد إلى أن تكون العربية اللغة القومية المتمكنة .

ب — ولكن المعنى الآخر لهذه المحافظة اللغوية إنما هو الجهد الإيجابى الدائب فى سبيل اللغة نفسها فى ميادينها المختلفة . . وقد اتضحت لكم ألوان من هذا الجهد فى إقرار الألفاظ أو وضع المصطلحات أو تأصيل الأصول... ويخيل إليك وأنت تقرأ لهؤلاء الباحثين اللغويين كأنما تواجه فرقة مجندة تقف موقف الدفاع عن أقدس مقدساتها ، فإذا هى تحتاط لكل نحو من أنحاء الخطر ، وتسد كل ثغرة من ثغر الهجوم ، ثم تأخذ بعد ذلك تقيم أساس بناء متين .

وقد ساور هؤلاء العاملين فى الحقل اللغوى شعور مزدوج يظهر

وجهٌ منه فى الاعتراف بقصور اللغة العربية ويظهر وجه آخر منه فى الاعتزاز والإيمان بها ... إن مقالة للأستاذ المرحوم أحمد أمين تعترف بالقصور ، وخطابا للأستاذ المرحوم سليم الجندى يشير كذلك إلى نواحى الضعف ، ولكن مقالاً آخر للشهابى يتحدث عن نهضة اللغة فى التعبير عن الحاجات ، ومقالاً رابعا لمطران يتحدث عن صلاحية اللغة العربية .. إن هذا الشعور المزدوج ليس فى الواقع تعبيراً عن حقيقتين مختلفتين ولكنه تعبير مختلف عن حقيقة واحدة هى هذه الخدمة للغة والتفانى فى سبيلها .

ومحاولات إنعاش اللغة والرغبة فى إنهاضها كثيرة المظاهر وقد بدأت مع المجلة فى أعدادها الأولى ، لا أعنى هذا الشكل النظرى فى المقال الافتتاحى الذى مرّ بنا ، وإنما أعنى هذا العمل فى « إصلاح لغة الدواوين » فى المقال الذى ظهر فى العدد الثانى ، ثم ما كان بعد من هذه الدعوة الحارة لإصلاح اللغة وإغنائها ، ثم ماتبعه من درس المعربات ، وإقرار الألفاظ ، والإجابة عن أسئلة السائلين .

ولست لأعدد لكم مظاهر هذا الإنعاش اللغوى ، ففى الذى قدمت من حديث ما يغنى عن ذلك ... وحسبنا أن نلاحظ أن المجلة سلكت إلى ذلك كل سبيل ، وسخرت كل قدرة ، واندفع كتابها فى ذلك اندفاعاً ، حتى استطاعت اللغة العربية فى الإقليم السورى أن تكون لغة العلم لا يشاركها غيرها ، ولغة الأدب لا هجنة معها ، ولغة المحاضرة لا عامية فيها .

* * *

إنكم تذكرون أننا إنما ندرس مجلة المجمع العلمى فى صورة تطبيقية لدراسة المجلات الأدبية .. وأننا بدأنا منها بموضوعاتها اللغوية بعد أن قسمنا موضوعاتها العامة فى مجموعات متقاربة . وفى وقفتنا عند الأبحاث اللغوية عرضنا أربعة أقسام متتالية : فى القسم الأول : مادة هذا البحث

اللغوى ، وفى الثانى مراحله ، وفى الثالث طوابعه ، وفى الرابع أهدافه .

إن المعلومات التى وصلنا إليها فى هذه الأقسام الأربعة ليست معلومات نهائية فى البحث اللغوى فى الشام فى النهضة الأخيرة ، ولكننا يمكن أن تكون نهائية حين نتمها بالذى نظفر به فى دراسة بقية المجلات لنستوى لنا بعد ذلك الصورة الصحيحة .. ولذلك يجب أن نكون على صلة بكل هذه النتائج التى انتهينا إليها ، وعلى ذكرٍ منها حين نتابع الدراسة . وعملنا هنا يشبه وقفتنا عند دراسة غرض من شاعرٍ . إن ذلك يكشف لنا عن شىء من روح هذا الشاعر ولكننا نظل فى حاجة إلى دراسة كل أغراضه الأخرى حتى تتفتح لنا كل السمات وتستبين كل القسمات .

وإن المعلومات التى وصلنا إليها كذلك ليست كل شىء أفدناه من هذا البحث وإنما الذى يجب أن نكون أفدناه إنما هو أن نعرف كيف نتحدث إلى هذه المجلات وكيف نصغى إليها فنسمع ما الذى تقوله لنا وما الذى تثيره عندنا .

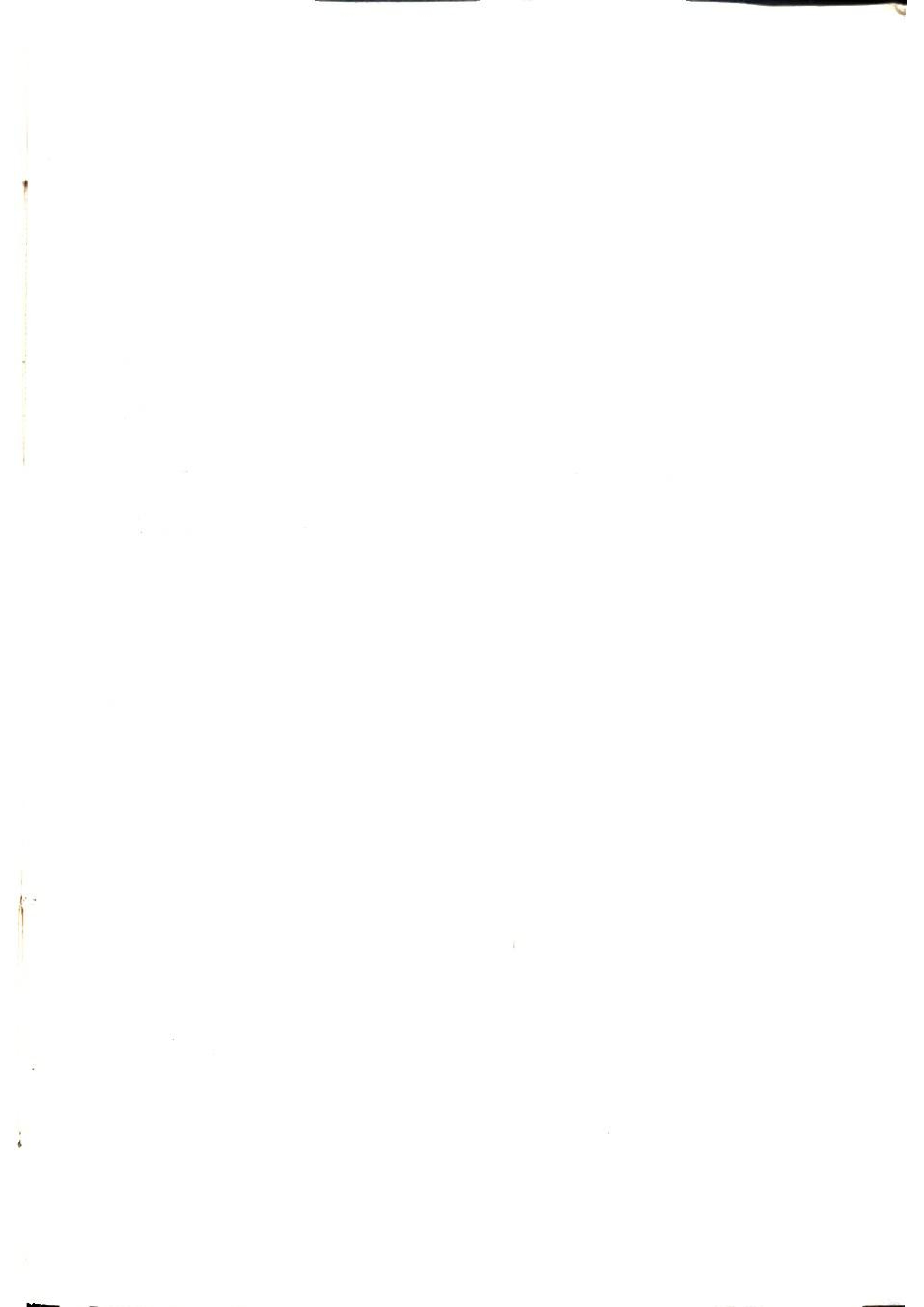
فإذا استطعنا فى هذا الذى تقدم أن نكون قد تعلمنا الإصغاء من نحو ، وضبط النتائج من نحو آخر ، وإعدادها للمقارنة والمماثلة والتكامل مع ما نقع عليه من نتائج بعدُ — فقد حققنا أكثر الغاية من الدراسة .

وأحسب أنه آن لنا أن نجوز الدراسات اللغوية فى مجلة المجمع إلى لون آخر من نشاطها إلى الدراسات الأدبية ، ثم إلى الذى يلى الدراسات الأدبية بعد ذلك على النحو الذى قسمنا فيه موضوعات المجلة فى المحاضرات السابقة .

ولكنكم تعرفون أن هذه المحاضرت التى تلقى هنا ليست مطلقة ، وإنما هى مقيدة بوقت محدود وعدد معدود ، وأنها لذلك لن تتسع لكل الذى كنا نود أن نتابعه من حديث وأن نمضى فيه من رصدٍ وعرض واستنتاج .

وإذا كانت هذه المحاضرات العشر لم تتسع من نحو نظرى إلا لإثارة هذا النحو الجديد من البحث والإشارة إليه واللفت إلى أهميته فى تاريخ الادب المعاصر ، وإذ كانت لم تتسع من نحو عملى إلا لهذا التطبيق الجزئى على جانب من مجلة ، هو جانب من البحث اللغوى من مجلة المجمع العلمى — فأنا أرجو أن يكون لها من أثرها فى نفوسكم إغراء بالدراسة ، وإثارة للتنبه ، وإنارة للطريق فوق الذى أؤمل .

والقدر الكبير من هذا الأثر رهن بالذى يكون من جهودكم وقراءاتكم . والله الموفق .



المحتـــوى

